وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر* بسكرة *

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ قطب شتمة ـ

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة :

البعد الروحي لدولة الأمير عبد القادر الجزائري

(1832-1847م)

مذكرة تخرج مكملة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

ـ إعداد الطالبة:

بسمة رحال

ـ إشراف الأستاذ:

مصطفى تورريت

السنة الجامعية: 2016-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

شكر و عرفان

اولا اتوجه بالشكر الجزيل للمولى عز وجل قبل كل شيء الذي بفضله تعالى وبتوفيقه انجزت هذا العمل، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلي الأستاذ المشرف **توريريت مصطفى** على كل النصائح والارشادات القيمة وتشجيعه المستمر، كما أتوجه بشكري إلي الأستاذ **رضا حوحو** متقدمة بتحية تقدير وإعتراف بالجميل على كل ما قدمه لي من معلومات وتوجيهات وكل التصويبات التي إضاءت الطريق لإنجاز هذا العمل كما أنني ممتنة له على دعمه المستمر.

وأتقدم بالشكر أيضا إلى عمال مكتبة الكلية وعمال المتحف الذين قدموا لنا كل التسهيلات، وعمال مكتبة المطالعة والكلية والمركز الإسلامي ممتنين لهم بما قدموه لنا من يد المساعدة وكل من ساهم في هذا العمل من قريب أو من بعيد.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم إلى أساتذتنا الكرام أعضاء اللجنة الموقرة على كل ما قدموه لنا لإثراء هذا العمل فلهم منا جزيل الشكر.

قائمة المختصرات

باللغة العربية	
د ت	دون تاريخ
ع	العدد
ص	الصفحة
ج	الجزء
ط	الطبعة
د ب	دون بلد
تر	ترجمة
م	مجلد
باللغة الفرنسية	
page	p
numéro	N

مقـــــــــدمة

إن الأمير عبد القادر الجزائري أحد النابغين الذين ساهموا بجهد وافر في الجانب الثوري من خلال المواقف الظاهرة التي كان لها تأثير بالغ في تاريخ المغرب العربي عامة والتاريـــخ الجزائري خاصة فهو من أبرز وجوه المقاومة الجزائرية.

تعتبر شخصية الأمير من بين احدى الشخصيات التي استمـــدت ذاتـــــها من شخصيـــــــات عاصرتها فلقد أثر فيه والده محي الدين الذي شهـــــد له التاريـــــــــــخ بالنبوغ بالعلـــــــم ومشيخة القادرية، والذي لم تقتصر علومه على أن يجعل من ولده رجل فقه ودين، وقد أحاطه ببيئة متدينة إلى حد بعيد، ولم يتوانى عبد القادر ولو للحظة في اكتساب المعارف من والده الذي أهَله على أن يكون قادريا.

وقد كانت الطريقة القادرية تدعو إلى البعد الديني والإنساني وتمتاز بروح التسامح وبث روح العفو والإصلاح بالحسن، وقد استطاع الأمير الاستزادة بكل ما ألمه من المضّي قدما في إنشاء دولته من خلال ما كانت عليه حياته الفعلية التي يغمرها نوع من السّر الروحي حتى وهو يمارس دوره في تسيير الشؤون العامة.

كنظرة أولية يبدوا أنّ المسار الروحاني الذي اتبعه الأمير من خلال الطرق الصوفية إلى جانب الطريقة القادرية أكسبه معرفة عميقة بمختلف الطرق مما أصبح مهيمنا على جميع مجالات ومؤسسات الدولة بحيث نلمح هذا في الجوانب الاجتماعية والعسكرية والسياسية وكذا الاقتصادية وعلى هذا جاء اختيارنا لموضوعنا الذي كان موسوما بـــــ: البعد الروحي لدولة الأمير عبد القادر ومن الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

– الرغبة الشخصية الملحة في دراسة تاريخ الجزائر. هذا التاريخ المميز والطويل المليء بالإنجازات البطولية والمقاومة والتحدي.

رغبتي في الاطلاع عن طريق هذه الدراسة على شخصية كبيرة كان لها تأثير كبير على الجزائر بصفة خاصة والدول الغربية بصفة عامة والمتمثلة في شخص الامير عبد القادر.

- التعرف على أساليب الامير واهتماماته الكبيرة في تطوير دولته من جميع جوانبها.

- إن البعد الروحي عند الأمير عبد القادر من المواضيع التي تحتاج إلى المزيد من الاهتمام والتعمق في البحث والدراسة والرغبة القوية في فهم هذا البعد الديني ومعرفة الأدوار الهامة التي قام بها الأمير من خلال هذا البعد على مسرح التاريخ المحلي(الجزائري) وحب الاطلاع ومعرفة المكانة التي كان يتمتع بها الأمير.

- التعرف على الجوانب القوية واللامعة من تكوينه الديني الذي ساعد على تطور دولته وتأسيس منهاجا وطريقا معينا في النهوض بها وتشييدها.

- إن أهمية شخصية الأمير عند العلماء تشكل في نظر النزهاء من الكتاب والباحثين حلقة هامة في سلسلة تاريخنا الجزائري الحافل بجلائل الأعمال إذ أتمنى أن الدارسون به يولوه عناية كبيرة ويخصوه بالبحث المستفيض والنظر الدقيق، بعيدا عن التأثير بما قيل ويقال حوله؛ إن الأمير له دور كبير وعظيم في التقدم نحو خطوة من خطوات الاستقلال

- الكشف عن التجربة التي خاضها الامير عبد القادر بأبعادها الروحية وجوانبها المنبثقة عن الدين الاسلامي من خلال المجالات السياسية والعسكرية والاجتماعية في اقامة دولته.

- كما نجد أن معظم الدراسات قد سلطت الأضواء على الجانب الجهادي والحربي لحياة الامير، ولا يمكننا القول أهملت الجانب الروحي لدولته ولكن قصرت في اعطاء الصورة الفعلية لجوانبه الروحية.

أهداف الموضوع:

ارتأينا دراسة هذا الموضوع لتحقيق جملة من الأهداف هي:

- إبراز الأبعاد الروحية التي ساهمت في تكوين الدولة الأميرية من خلال بعض الجوانب.

- محاولة معرفة الأهداف الحقيقية من وراء اقتدائه بتعاليم الدين الإسلامي.

- محاولة التعرف على عبقرية الامير من خلال مرجعيته الدينية وتطبيقها على أرض الواقع.

- الكشف عن العلاقة التي تربط الدولة بالبعد الديني.

- الرغبة في الكشف عن الاصلاحات والتنظيمات التي ضمتها دولته من جوانب عدة والادوار التي لعبتها هذه التنظيمات في تماسك أو تفكيك دولة الأمير.

- محاولة إبراز الدور الوطني والإنساني للأمير عبد القادر.

- الكشف والوقوف على حقيقة موضوعية والمتمثلة في تعاملات الامير مع جنوده وغيرهم.

- محاولة ابراز دور المسار الروحاني للأمير لتسيير المؤسسات الثقافية التي أسسها في دولته.

- التعرف على المعاملات التجارية لدولة الامير عبد القادر والبعد الإسلامي فيها.

وخدمة للأسباب والأهداف السابقة التي ارتأينا الوصول إليها جاءت إشكالية الموضوع على النحو التالي:

❖ فيما تظهر الجوانب الروحية لدولة الأمير عبد القادر الجزائري؟

وللإجابة على هذه الاشكالية وجب علينا طرح مجموعة من الاشكاليات الجزئية لمعرفة ملامح الموضوع والتي تتمثل فيما يلي:

1- فيما تظهر الجوانب الروحية في تكوين شخصية الأمير عبد القادر الجزائري؟

2-كيف كان أثر البعد الروحي في سياسة الأمير عبد القادر الجزائري في بنائه لدولته؟

3-كيف كان دور البعد الروحي في الجانب العسكري لدولة الأمير عبد القادر؟

4-فيما يظهر البعد الروحي للأمير عبد القادر الجزائري في المجال الاجتماعي في دولته؟

5-وهل يظهر هذا البعد الروحي للأمير عبد القادر في القطاع الاقتصادي لدولته؟

وللإجابة على هذه الاشكاليات قسم الموضوع الى مدخل وأربعة فصول.

عرض الموضوع:

- مقدمة فيها عرض للموضوع من جوانبه المختلفة انطلاقا من التعريف بالموضوع وأهميته وكذلك الاسباب التي دفعتنا إلى اختياره والهدف الى طرح الاشكالية مع الاشارة إلى أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه المذكرة، اضافة الى منهج البحث والصعوبات التي واجهتنا في هذا الموضوع المدروس.
- مدخل سلطنا فيه الضوء على شخصية الامير عبد القادر وحاولنا أن نعطي صورة عامة عن كيفية تكوينه الروحي حيث تضمن هذا الفصل ثلاثة عناصر، تناولنا في العنصر الاول الحديث عن مولده ونسبه أما الثاني فخصصناه لنشأته تكوينه؛ لنشرح في العنصر الثالث مرجعيته الدينية.

• الفصل الاول تطرقنا فيه الى الجوانب الروحية للأمير في المجال السياسي، فالمبحث الاول تضمن البيعة بأبعادها (البيعة العامة والخاصة) اما المبحث الثاني فقد تناول المجلس الشورى الأميري واختصاصاته وبعض النماذج التى أصدرها الأمير.

• الفصل الثاني دار حول الجوانب الروحية للأمير في المجال العسكري، فالمبحث الاول خصص لدراسة الجهاد وضرورته لدولة الامير عبد القادر وفقا لشروط معينة يتطلبها الجهاد الإسلامي لتنظيم وإدارة المعارك، بينما تناول المبحث الثاني المعاملات التي كان يتعامل بها الامير سواء مع المسلمين من جنوده أو تعامله مع أسرى حروبه.

• الفصل الثالث تطرقنا فيه الى البعد الروحي للأمير عبد القادر في المجال الاجتماعي حيث تناول المبحث الأول الابعاد الروحية للأمير في المؤسسات الثقافية من مساجد وزوايا في حين تضمن المبحث الثاني البعد الروحي للأمير في مجال التعليم أما المبحث الثالث احتوى على مؤسسة القضاء عند الامير عبد القادر الجزائري وأبعادها الروحية.

• الفصل الرابع كان لدراسة الجوانب الروحية للأمير في المجال الاقتصادي. فالمبحث الأول كانت دراسته حول العلاقات والمبادلات التجارية ومبادئها الإسلامية، في حين المبحث الثاني كان مقتصرا على العملة الأميرية.

• وفي النهاية خلصنا الى خاتمة حاولنا من خلالها الوقوف على أهم النتائج التى تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

منهج البحث:

أما المنهج المتبع في دراسة هذا الموضوع هو المنهج التاريخي الوصفي، فبحكم أن الموضوع تاريخي كان لزاما علينا اعتماد هذا المنهج لتقرير احداث ووقائع تاريخية بحتة كما اعتمدنا على المنهج التحليلي وقد سلكناه في دراسة وتحليل البعد الديني للأمير في اقامة دولته.

مصادر ومراجع الموضوع:

كما اعتمدنا في هذه المذكرة على جملة من **المصادر والمراجع** التي تتصل اتصالا مباشرا بالموضوع، كما اعتمدنا على بعض المراجع الثانوية لها هي الاخرى علاقة بموضوع الدراسة، فمن بين المصادر المعتمد عليها لدينا: كتاب مذكرات الأمير عبد القادر والذي هو موضوع دراستنا، بالإضافة إلى مصادر أخرى مثل ابن التهامي: سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق يحيى بوعزيز وكتاب هنري تشرشل :حياة الامير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الجزائري محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر ،شرح وتعليق ممدوح حقي ... الخ.

وكذلك عدد من المراجع منها:

- أديب حرب: التاريخ العسكري والاداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847.

- ناصر الدين سعيدوني: عصر الامير عبد القادر

- إتين برونو: عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري.

Azan(P.) : l'émir Abdelkader de fanatisme musulman au patriotisme français (1808- 1883), hachette, Paris,(1925).

أما عن المقالات:

بونار رابح، «نظام الحكم في إمارة الأمير»، **مجلة الأصالة**، مج: 8، ع 23.

أحمد مطاطلة، «نظام الادارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر»، **مجلة الذاكرة**، ع 04،

بالإضافة الى العديد من الرسائل الجامعية: بن ساعد عائشة: البعد الروحي لمقاومة الامير عبد القادر الجزائري وغيرها.

صعوبات الدراسة:

لا يخلوا بحث من الصعوبات لكن لا شك في ارتباطها بإمكانيات الباحث وموضوع بحثه. وفي دراسة هذا الموضوع واجهتنا مجموعة من الصعوبات لإنجاز بحثنا هذا نذكر منها:

-كثرة المادة العلمية التي بين أيدينا والتي جاءت متشابهة، مما يصعب علينا ترجيح رأي عن رأي آخر، بالإضافة إلى نقص الدراســـــات في هذا الجانـــــب ألا وهو "البعد الروحي" ، كما أن لضيق الوقت دور للتعمق أكثر في دراســـــة هذا الموضوع مما وتجلى ذلك في عدم الوصول لدراسة الأبعاد الروحية في رموز سيادة الدولة كالراية والختم.

مدخـــــــل

شخصية الأميرعبد القادر وتكوينه الديني

لكي نتعرف على الأمير عبد القادر لابد من التعرف أولا على مولده ونسبه الشريف، الذي كان عاملا في نشأته وتكوين شخصيته وثقافته وكذا مرجعيته الدينية التي استطاعت أن تساعده على التأهل لمنصب الإمارة والحكم وبنائه دولة قاعدتها الدين الإسلامي.

1- مولده ونسبه:

أ/ مولده: ولد عبد القادر بن محي الدين [1] يوم 23 رجب سنة 1222 هـ الموافق لـ 26 سبتمبر1807 [2]،في القيطنة[3]، الواقعة بالقرب من بعض ينابيع الضفة اليسرى لوادي الحمام غربي مدينة معسكر من مقاطعة وهران.

---

[1] ولد بوادي الحمام عام(1190 هـ / 776-177) درس على أبيه وورث عنه مشيخة الزاوية فكثر عليه العلم، اشتهر بسداد الرأي وغزارة العلم، قاوم الظلم في عهد الباي حسن بن موسى، وتوفي في 1249 هـ / 1833 م، فخلفه ابنه في رئاسة الزاوية، وتولى عبد القادر إمارة الجهاد. أنظر: يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج 02، دار العرب الإسلامي، بيروت،1955، ص 245.

[2] محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تع: ممدوح حقي، ط 02، دار اليقضة العربية، دمشق،1964، 333. نجد اختلاف حول شهر ميلاده عند بعض المؤرخين يجعلها هنري تشرشل في ماي 1222 هـ / 1807 م أنظر: **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو قاسم سعدالله، ط، 02 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982، ص 03. في حين يجعلها الحاج مصطفى التهامي في 23 رجب سنة 1222 هـ / 26 سبتمبر 1807 م، أنظر كتابه: **سيرة الأمير عبد القادر وجهاده**، تح: يحي بوعزيز، دار العرب الإسلامي، بيروت، ص 50. في حين يرجعها ميلاده محمد العربي الزبيري في سنة 1223 هـ /1808 م. أنظر: كتابه **الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والمؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1982، ص 12، في حين يجعلها مصطفى التهامي في 1222 هـ /1807م. أنظر كتابه **سيرة الأمير عبد القادر وجهاده**، المرجع السابق، ص50.

[3] وهي موجودة في منطقة اغريس بالقرب من معسكر إلى الجنوب الشرقي من مدينة وهران. أنظر: هنري تشرشل، المرجع السابق، ص04. وتوجد القيطنة بين حسين وسيدي بو حنيفة وهي إرث فكري وثقافي في العائلة تأسست من طرف مصطفى أبو سيدي محي الدين، والقيطنة هي نوع من المنشآت الواسعة التي تنشر العلم على كل المستويات، وفي كل تخصصات تلك الفترة دراسة وتفسير القرآن، الفقه، التاريخ، الشريعة. أنظر: عبد القادر بوطالب، **الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية (من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير)**، تقديم بقلم شارل روبير أجيرون، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص49.

كان محي الدين متزوجا بأربع نساء، رزق منهن بستة أولاد: سي محمد سعيد وسي مصطفى، من أولى زوجاته وريدة بنت سيدي الميلود، والحسين من فاطمة بنت سيدي داهو، أما عبد القادر وشقيقته خديجة التي تزوجت مصطفى بن الطاهر، فمن زوجته الثالثة زهرة بنت سيدي عمر بن دوبه أما سيدي المرتضى فمن الزوجة الأخيرة خيرة[1]. فالأمير إذن هو الابن الرابع لمحي الدين من زوجته الثالثة زهرة بنت سيدي عمر بن دوبه.

ب/ نسبه:

تتفق معظم المصادر على أن الأمير عبد القادر(أنظر الملحق رقم 01) (شريف من آل هاشم، وأسرته تنتمي إلى قبيلة هاشم من أصل مغربي)، من فروع الأدارسة[2] فهو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بابن خدة وهي مرضعته، ابن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد بن خالد بن يوسف أحمد بن شار بن محمد بن إدريس الأصغر، ابن ادريس الأكبر ابن عبد الله المحض، بن الحسن المثنى، ابن الحسن السبط، ابن علي بن أبي طالب و أمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود، محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم[3].

اتسم الأمير عبد القادر بالنسب الشريف وحاز على كل أمارات الشرف والعزة والمجد من خلال هذا النسب، فلا عجب من أن الأمير ينتهج المسلك الصحيح نفسه الذي أنيب إليه ليزيد من مجده وشرفه، ويبوئ عائلته منزلة اجتماعية خاصة. فهذا النسب للأمير هو محل فخر له ولعائلته.

---

(1) AZAN (P.), **AbdelKader 1808-1883 du Fanatisme musulman au patriotisme Français**, hachette, Paris , 1925, p2.

(2) دولة الأدارسة: أقيمت دولة الأدارسة في المغرب على يد إدريس الأكبر عام 172 هـ /788 م، وسقطت في عهد آخر ملوكهم محمد المستعلي ابن إدريس بن علي 459 هـ /1066 م. أنظر: الأميرة بديعة الحسني الجزائري، **فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق**، ط 2، دار الفكر للطباعة، دمشق، 2000، ص 16.

(3) محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص932.

2- نشأته:

نشأ الأمير وتربي في محيط ديني علمي وثقافي بناحية غريس، وأظهر منذ طفولته إستعداد فكريا وبدنيا حقق له مكانة خاصة عند والده من بين إخوته، وكان موضع اهتمام وعناية كبيرة له من طرفه، فمال إليه ميلا خاصا واعتنى بتربيته تربية إسلامية، غدت فيه النواحي الروحية والمعنوية [1]. تتلمذ عبد القادر في مدارس وكتاتيب في القيطنة بوادي الحمام [2] واقتصر تعليمه في البداية على حفظ القرآن الكريم بالزاوية(أنظر الملحق رقم02) ، وتعلم العقيدة وفن الكتابة ثم القواعد، وقد برع في تلقي العلوم التاريخية والفلسفية والفقهية لأن معهد القيطنة لم يقتصر على تعليم القرآن بل كانت تدرس فيه علوم متعددة كالتفسير والحديث وعلم التاريخ والفلسفة[3].

أقبل محي الدين على تعليم الأمير عبد القادر القراءة والكتابة والقرآن الكريم و دراسته القواعد الإسلامية و ممارسة الرياضة وخاصة تعليمه ركوب الخيل، فأصبح يلقب بالفارس، ثم درس عن قاضي أرزيو سي أحمد بن الطاهر البطيوي[4] الذي زوده بمعارف ومعالم هامة منها علم الفلك والحساب والجغرافيا وكل ذلك تم على الطريقة التقليدية

---

[1] عبد الرزاق بن السبع، **الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، (د ب، د ت)، ص 13.

[2] وهو المعروف بحمام بوحنيفة يبعد عن مدينة معسكر بحوالي 30 كلم، وهو واد من أكبر الأودية وأعذبها ماء طيبا وحلوة ذامروج، عن يمينه وشماله متسعة صالحة للزرع والضروع، ينسب الوادي إلى والي مزار قبره معترض بين الحمام وبين القبلة، اسمه سيدي محمد بن حنيفة، أخو الحسن والحسين ولدي فاطمة من علي لأبيها المذكور في الله عنهم جميعا. أنظر **مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري**، تح: محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح الجون، ط7، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،2010، الجزائر، ص 48.

[3] فريد قاسي، **الدولة في فكر الأمير عبد القادر(1832-1874)**، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1012، ص 52.

[4] أصله من مدينة أرزيو تولى القضاء لدى الأتراك بوهران ودرس عليه الأمير عبد القادر في صدر شبابه عندما فرض عليهم الباي حسن الإقامة الجبرية لكنة بعد أن تولى الأمير الإمارة قدمه للمحاكمة وأعدمه في مدينة معسكر، بعد أن ثبت تعامله مع الفرنسيين أعداء البلاد. أنظر: يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة**، المرجع السابق، ص210.

الأصيلة[1] بذل محي الدين قصارى جهده في تثقيف الأمير عبد القادر لما لمس فيه أمارات التفوق والنبوغ والذكاء فتمكن هذا الأخير من اكتساب جانب عظيم من العلم، واستطاع حفظ القرآن في سن مبكرة ودرس الحديث وأصول الشريعة، كما تلقى مبادئ الفقه وأصوله عن والده وعن غيره من العلماء الأجلاء[2].

عندما بلغ عبد القادر سن 14 سنه من عمره بعثه والده إلى وهران للدراسة في مدرسة أحمد بن خوجة والتي كان يديرها سي محمد بن خوجه لمواصلة دراسة الثانوية وكان ذلك عام 1821 حيث مكث هناك قرابة السنتين، فدرس على شيوخ وهران مختلف العلوم، فبرع في الشريعة والفقه والأدب وأشرف على تعليمه بوهران الشيخ أحمد بن خوجة[3]. وقد كانت هذه المدرسة تضم أبناء عائلات الوجهاء والأعيان وكبار المسؤولين والموظفين الأتراك والأهالي.

وفي سنة 1823 رجع عبد القادر إلى مسقط رأسه ليواصل دراسته في الزاوية بالقرب من شيوخه ومنهم والده محي الدين، ليتزوج ابنة عمه سيدي علي أبو طالب[4] وكانت ذات أخلاق وأصبحت رفيقة دربه في السراء والضراء.

وبعدها بدأ عبد القادر يلقي الدروس في جامع الأسرة خاصة تفسير القرآن الكريم وكان يتفق طموحه، حيث كان يصبو إلى أن يصبح مرابطا مثل والده [5]؛ ولم يكف أثناء ذلك عن التحصيل والتثقيف الذاتي المستمر، فضلا عن اكتسابه براعة نادرة في الفنون الفروسية وركوب الخيل.

---

(1) ابو عبدلي المهدي، «وثائق اصلية للأمير عبد القادر»، **مجلة الثقافة**، ع (خاص) 75، 1983، ص 142.

(2) عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص48.

(3) أصل صاحب هذه المدرسة من مستغانم استوطن وهران، وأنشأ بها مدرسة للأعيان ونشط في الكتابة حيث كتب (أدر الأعيان في أخبار وهران). أنظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 210.

(4) فتحي دردار، الأمير عبد القادر، **بطل المقاومة الجزائرية (1832-1847)**، د ب، 2001، ص ص 23، 24.

(5) بسام العسلي، **الأمير عبد القادر الجزائري**، دار النفائس، بيروت، 1980، ص 21.

3- مرجعيته الدينية:

يجدر بنا الإشارة هنا إلى أنه من أجل فهم روحانية الأمير عبد القادر كان لابد علينا أن ننسب هذا المسار لتاريخ شخصيته، وتعدد مراكز اهتمامه و تنوع وقوة نشاطه وحتى إنسانيته للحياة التي تعتبر ثمرة تربيته أولا ثم التجربة الروحية المتمثلة في السلوك الصوفي الموروث ومن خلال ما تناولناه في العناصر الماضية (نسبه الشريف وتعليمه ودراسته العلوم القرآنية وتشربه الدين منذ صباه خاصة أنه ترعرع في الزاوية القادرية وأخذ العهد على أيدي مشايخ هذه الزاوية(أنظر الملحق رقم 03) في تكوينه القادري و بخاصة من طرف والده محي الدين الذي كان يعده لمشيخة الطريقة القادرية.

وبعد أن استطاع الأمير اكتساب الجواهر الروحية من خلال العديد من المدارس والزوايا مثل: ارزيو، وهران، مستغانم والتي تعد هي الأخرى مراكز روحية أيضا وما زاد من اكتسابه لهذه الصفة الروحانية أيضا هو رحلاته إلى المشرق العربي حيث التقى بالكثير من الشيوخ الذين أثروا في مساره الروحي.

وكانت أول بداية لرحلاته الدينية عندما قرر محي الدين اصطحابه لأداء واجب الحج الذي يعتبر من المواسم السنوية المعروفة لدى الإنسان واكتسابه المعارف الدينية وزيارة الأمصار المقدسة (مكة والمدينة) والتعرف عليها فانتقلا إلى وهران لكنهما لم يغادراها بعد أن منعوا من طرف أعوان الباي الذي كان حاكما لوهران وهو الحسن بن موسى أين وضع الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر رهن الاحتجاز بسبب أن خبر حج محي الدين خلق نوعا من الجمهرة العارمة للشعب [1] مما أخاف الباي وجعله يأخذ احتياطاته بإبراز سلطاته أمام الرعية.

---

[1] عائشة بن ساعد ، **البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص 60.

وما إن انتشر خبر حجز محي الدين وولده عبد القادر حتى توسط له البعض من قادة المخزن ومنهم مصطفى بن إسماعيل والمرصالي وبعض أفراد أسرة الباي ومنهم زوجته من أجل إطلاق سراحهما. [1]

وبعد نجاح هذه المساعي غادر الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر لأداء فريضة الحج في 1230ه الموافق لـــ مارس 1825م، فانتقلوا من الجزائر إلى تونس والتي أعجب بها الشاب عبد القادر وتعرف فيها إلى الفقيه الشيخ أحمد المازري ووكيل المغاربة الحاج الحرشي [2]، ومنها ركب البحر مع ابنه ومن كان يرافقه إلى الاسكندرية فزاروا معالمها ووقفوا عند مقام أبي العباسي المرسي ابن عطاء الله وأبي الحسين البصري ثم انتقلوا إلى القاهرة وحضوا بضيافة الولي الفقيه محمد سعد القاندي. و قد و قف الشاب عبد القادر على معالم القاهرة [3]، و تردد إلى مساجد الحسين و للإمام الشافعي[4] والجامع الأزهر [5]، و تعرف إلى بعض علمائها أمثال الشيخ علي الميلي و الشيخ فراج و الشيخ ابن الأمير[6] .

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، «موقف الأمير عبد القادر من بقايا السلطة التركية بالجزائر-جماعة الكراغلة وعشائر المخزن»، **مجلة التاريخ**، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، دار الغرب الاسلامي، 1983، ص 30.

[2] محمد علي الصلابي، **سيرة الأمير عبد القادر (قائد رباني ومجاهد اسلامي)**، دار المعرفة، بيروت، د س، ص 107.

[3] ناصر الدين سعيدوني، **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود الباطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000، ص 156.

[4] ولد محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع القريشي سنة 150هـــ بغزة، أبوه قريشي، عادت به أمه إلى مكة فحفظ القرآن وهو في السابعة من عمره وحفظ موطأ مالك في سن العاشرة، تلقى فقه مالك على يد مالك وتفقه بمكة على شيخ الحرم ومفتيه مسلم بن خالد الزنجي، محمد بن الحسن وتلقى منه فقه أبا حنيفة، ويعد الشافعي أول من ألف في علم أصول الفقه، وهو بذلك صاحب أحد المذاهب الأربعة السنية الكبرى. أنظر: عائشة بن ساعد، المرجع السابق،61.

[5] بناه جوهر الصقلي في 24 جمادى الأولى سنة 359هـــ الموافق لـــ 970م، وأكمل بناءه في 9 رمضان 1361هـــ/972م، سمي أولا بجامع القاهرة ثم أطلق عليه الأزهر في عصر العزيز بالله الفاطمي بعد إنشاء القصور الفاطمية الزاهرة، وأنشأ كمسجد للخلافة ثم أصبح مدرسة. أنظر: عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 61.

[6] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص157.

بعدها تحول مع مرافقيه إلى السويس و ركبوا البحر نحو جدة وأدوا فريضة الحج [1] ثم صاحب الشيخ محي الدين و ابنه عبد القادر ركب الحجيج إلى المدينة المنورة، ومنها سارا إلى بغداد عن طريق دمشق لتعذر الذهاب إليها مباشرة[2] لكون الطريق آنذاك كان آمنا تعبره القوافل و ينتقل عبره المسافرين واستقروا بها لمدة شهرين، واستغل عبد القادر هذه المدة للاستماع إلى أقوال الفقهاء ودروس العلماء، حيث سمع هو ووالده عن الشيخ عبد الرحمان الكزيزي[3] لبعض البخاري بمسجد بني أمية، كما أضيف اسم الشيخ خالد النقشبندي الشهرزوري[4] الصوفي الأديب المتأثر والمؤثر بأسلوب مقامات الحريري. كما زار أثناءها مقام صاحب الطريقة القادرية وشيخ الصلحاء وقطب الأولياء سيدي عبد القادر الجيلاني[5] والمدعو الباز الأشهب[6] وتعرف إلى وكيل الضريح نقيب الأشراف الشيخ محمود القادري شيخ السجادة القادرية وأخذ عنه الطريقة القادرية [7]، ثم غادر بغداد نحو دمشق من جديد ومنها إلى المدينة المنورة حيث أديا مناسك الحج والعمرة للمرة الثانية، ومنها سافرا مع الركب الحجازي نحو العقبة فمحطة النخيل بسيناء

---

[1] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص106.

[2] الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 101.

[3] هو أبو المحاسن وجيه الدين عبد الرحمان بن محمد بن علي الرحمان الكزبري (1184-1262هـ) الدمشقي الشافعي عالم محدث، ولد بدمشق وتوفي بمكة، أنظر: محمد مراد بركات، **الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي**، دار النشر الالكتروني، د ب، د س، ص 12.

[4] هو الشيخ أبو البهاء ضياء الدين النقشبندي الشهرزوري ولد (1193هـ/ 1779م) وتوفي (1242هـ/1826م) من علماء الفقه والحديث، من أشهر أتباعه شهاب الدين الألوسي مفسر روح المعاني. أنظر: عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص62.

[5] هو الشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني (470-562هـ) /(1078-1162م) الذي ولد في جيلان بجبال كركوك شمال العراق، استوطن بغداد واعتكف على الدراسة والتعلم وتضلع في الفقه الحنبلي وألف عددا من الكتب في الأصول والفروع وأدعية في التوسل إلى الله، مال إلى حياة الزهد والتصوف وألف طريقته الصوفية القادرية بعد أن كثر اتباعه وانتشرت بسرعة في بلدان المغرب العربي. انظر: عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص62.

[6] قدور محمصاجي، **شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، توليه الامارة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1975، ص125.

[7] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 157.

ثم القاهرة حيث صادف وصولهما إليها إقامة الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف ومنها ذهبا إلى برقة[1] فاجتازا العقبة وزارا قبر والد الشيخ محي الدين بعين غزالة قرب درنة و منها واصلا طريقهما غربا فتوقفا بمصراته حيث وقفا على مقام أحمد زروق البرنسي، و منها إلى موطنهما القيطنة حيث ألقيا عصا الترحال في أوائل عام 1243ه الموافق لـــ 1828م [2].

وتعد المرحلة الموالية لتكوين الأمير الديني هي مرحلة وقوعه أسيرا في أمبواز [3] بسبب اتهامه من طرف القوات الفرنسية بالتدخل في شؤونها، حيث دخل خلال هذه الفترة مرحلة الخلوة وأخذ بملازمتها وهو أسير، حيث أتاحت له ولأول مرة في حياته التأمل الصوفي والتفكير الروحاني الهادئ العميق فكان يقضي أوقاته مستغلا بالذكر والدعاء، و إنتاج العديد من المؤلفات الفكرية والأدبية [4] وآخر مرحلة من مراحل تصوفه هي المرحلة التي تلت خروجه من السجن وسفره إلى المشرق والتي كرسها لجهاد النفس والتعمق في علوم التصوف [5] والتأمل فهي الخلوة الصوفية[6].

---

[1] محمد مراد بركات، المرجع السابق، ص12.

[2] الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 118.

[3] ركيبي عبد الله، **الشعر الديني الجزائري الحديث**، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص 241.

[4] أبو القاسم سعد الله، «بين الشاذلي القسنطيني والأمير عبد القادر»، **مجلة الأصالة**، ع 12، ص 109.

[5] الأمير عبد القادر الجزائري، **المواقف الروحية والفيوضات السبوحية**، اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الذرقاوي، ج1، دار الكتاب العلمية"، بيروت، 2003، ص22.

[6] الوصفي علي بن السيد أحمد، **موازين الصوفية**، تق: سعد عدد عبد الرحمان، دار الايمان، الاسكندرية، مصر، 2001، ص37.

وخلال هذه الفترة تعرف على الصوفي محمد الشاذلي القسنطيني بمكة المكرمة حيث تتلمذ عنده وتلقى منه مبادئ الطريقة الشاذلية[1] وأصولها [2].

لقد كانت هذه الرحلة مرحلة حاسمة في تكوينه الروحي خاصة حينما تم التقاؤه بشخصيات مرجعية على المستوى الروحي وكذا اكتشاف أماكن مشبعة بالرمزية مثل(مكة) رجال وأماكن يمثلون خزائن روحية حقيقية، ناقلون لأثر روحي حق.

فلقد كانت حقا رحلة تعلمية دينية لينفتح مساره الروحي، سلوكه الروحي، فقد قضى القدر للأمير أن يتلقى هذا الحمل الروحي فحظي بالعديد من الشيوخ المعلمين بدءاً بعلماء غريس.

فقد أتاحت له هذه الرحلة الروحية الفرصة ليتمكن من الاطلاع على أشكال الأنظمة العربية، كما سمحت له بالاطلاع على النظم العسكرية والادارية [3]، ونال بفضلها حظا وفيرا من ثقافة المشرق العربي واطلع على قضاياه السياسية عن كثب[4]، كما مكنته الرحلة من دراسة أحوال البلاد الشرقية ونظمها. واتصاله بالشرق الاسلامي مكنه من التفاعل مع البيئات العلمية فيه وأخذ من علماء البلاد التي زارها.

إنتبه للأمراض التي يعانيها المجتمع الاسلامي في شتى الميادين وأخذ العبرة منها. [5]

---

[1] نور الدين صدار، «البطولة، الانسان، والتصوف تنويعات الرؤية والتشكيل في شعر الأمير عبد القادر، مقاربة بنيوية تكوينه»، **مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية**، مج 37، ع 2، 2010، ص381.

[2] أسسها الشيخ أبو الحسن علي إبن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي وهي من أقدم الطرق الصوفية، كان مركزها بوبريت في مراكش وهي من الطرق الأولى التي أدخلت التصوف إلى منطقة المغرب، لها دور جهادي كبير في سبسل الله. أنظر: صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر (تاريخها ونشاطها)**، دار البراق بيروت، 2002، ص149.

[3] يحي بوعزيز، **الأمير عبد القادر رائد الكفاح المسلح**، المرجع السابق، ص43.

[4] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 64.

[5] أنيسة بركات، «الجانب الأدبي من شخصية الأمير عبد القادر»، **مجلة التاريخ**، عدد خاص بوفاة الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص 13.

فالبعد الروحي هو البعد الأساسي لدى الأمير، فلما قام بإنهاء تكوينه وتشبعه بالدين على أكمل وجه، سيدخل حلقة أخرى دون إنكار المرحلة الأولى ليتطرق إلى الجهاد الأكبر لإكمال الصورة التطبيقية لمسلكه الروحي.

كما يمكن القول إن العامل الجوهري لهذه الشخصية هو العامل الديني، فيظهر ذلك من خلال تفهمه في العديد من الطرائق، منها القادرية والطريقة الشاذلية والطريقة النقشبندية، ما أكسبه معرفة عميقة بمختلف التيارات وتمسكه خلال حياته لأوامر الدين ونواهيه.

كما لا ننسى أن عبد القادر وليد زاوية وهي الزاوية القادرية، ومن هنا يمكننا القول أن الأمير استمد تصوفه من صميم الدين الإسلامي.

الفصل الأول

الجوانب الروحية للأمير عبد القادر

في المجال السياسي

المبحث الأول: البيعـــــة

قامت دولة الأمير على عهد الطاعة لولي الأمر وإعطاء الولاء له مقابل الحكم بما أنزل الله تعالى، فالبيعة في الاسلام لا تحتمل الإكراه بل تحتمل الشورى المسبقة وعلى هذا بويع الأمير لما جاء بالكتاب والسنة والخضوع التام للشريعة، أما الشعب فباع على الخضوع والسمع والطاعة للأمير لأنه لا يوجد عقد بيعة إلا برضا الأمة واختيارها، وعلى هذا لا يحق للأمير عبد القادر الخروج عن أحكام الشريعة أو تشريع الأحكام التي تصادم الكتاب والسنة أو القواعد العامة في الشريعة لدولته. فهل التزم الامير بهذا العقد الشرعي في تأسيسه لدولته؟

المطلب الأول: مقدمات البيعـــة

لم يكن الاحتلال الفرنسي للأراضي الجزائرية أمر سهل، وهذا ما أدى بها للاكتفاء بالأراضي الساحلية دون التوغل إلى الداخل إلا في بعض الأحيان وذلك بفضل شيوخ العرب ورؤسائهم، ولكن فرنسا فشلت في تحقيق الاحتلال الكامل بسبب المقاومة الجزائرية[1] وقد رافق هذا التوغل انتشار موجة من الفوضى والإضراب وانقطاع حبل المؤون، وتعرض الناس لنهب قطاع الطرق،[2] وقد قدم لنا صاحب كتاب زهرة البساتين في بيان الاسم الأعظم بالأدلة والبراهين الحالة الضعيفة التي كانت تخيم على الجزائر آنذاك حيث يقول" ***في هذه السنة، التي هي محرم سنة 1248 هـــ قد اشتدت فيها المحن وكثرة الفتن من يوم خرجت الجزائر وثغر وهران بسبب الروم الفرنصيص....***

---

[1] نبيل أحمد بلاسي، **الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**، الهيئة المصرية للكتاب، الزقازيق، 1990، ص14.

[2] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 26.

فخلت الأرض من الحكام وكثر القتل والهرج والخصام وتعطلت الشرائع وعمت الذرائع" [1].

وفي ظل هذا الواقع الذي باتت تعيشه الجزائر بصفة عامة والغرب بصفة خاصة تحرك شيخ المرابطين محي الدين لنجدة هؤلاء ودعمهم ماديا ومعنويا، وقد اقترح عليهم اللجوء إلى سلطان المغرب للخروج من هذه الأزمة والتصدي لفرنسا [2].

وهنا توجهت البعثة الجزائرية إلى فاس تضم عشرة أفراد من كبار شيوخ المرابطين تنفيذا لرغبة محي الدين، فلبى سلطان المغرب النداء وبعث بابن عمه علي بن سليمان ومعه خمسة آلاف فارس ومدفعا ميدان وعسكر إلى تلمسان، فأعلنت القبائل ولاءها لسلطان المغرب، ونظرا لهذا التطور شعرت فرنسا بخطورة الموقف فبعثت بتهديداتها إلى سلطان المغرب الذي اضطر إلى الخروج تنفيذا لأمرها، وبالرغم من محاولات الجزائريين المتعددة نحو نجدة سلطان المغرب إلا أنها فشلت في تحقيق مسعاهم[3].

وحين يأس أهل الجزائر من نجدة الدولة العثمانية هي الأخرى، وظهر لهم عجز جارهم سلطان المغرب الأقصى المولى عبد الرحمان[4]، ولم يجدوا من ينقضهم من العدو الفرنسي، ويرفع لواء الجهاد ضده وتتوفر فيه شروط الإمارة وقيادة الشعب غير أسرة الأمير وعلى رأسها والده محي الدين من طرف الجميع[5]. هنا توجهوا إلى محي الدين وعرضوا عليه الفكرة فرفض، وظلوا يعيدون الكرة وهو يرفض بعذر أنه لا يصلح أن

---

[1] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص220.

[2] بسام العسلي، المرجع السابق، ص 27.

[3] نفسه، ص 27.

[4] اسمه عبد الرحمان بن هاشم ولد في فاس سنة (1789م)، وتوفي في مكناس سنة 1859، هو أحد حكام الدولة العلوية حكم المغرب في فترة ما بين (1822-1859م)، ابتدأ حكم المولى عبد الرحمان مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر حيث دعمت المغرب المقاومة الجزائرية التي قادها الأمير عبد القادر خلال تلك الفترة. أنظر: محمد علاق، **الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص19.

[5] بركات محمد مراد، المرجع السابق، ص14.

يقوم بواجبات هذا المنصب بسبب تقدمه في السن وعدم قدرته على هذه المهمة[1]، وبقي محي الدين في الجيش لمساعدة قومه واقترح عليهم بأن يكون الذي يحكمهم شابا حيويا قادرا على قيادة القبائل للحرب وقال لهم "***هذا القائد لست أنا***"، لكن قبائل بني هاشم وبني عامر طلبوا من محي الدين بعد رفضه القيادة تعيين ابنه لكنه رفض ذلك على أساس أنّ عبد القادر مازال صغيرا وغير قادر على تحمل المسؤولية الصعبة.

وتواصلت المناقشات من أجل إيجاد حل فاجتمعوا للمناقشة بعدها جاء أحد المرابطين وهو سيدي عراش[2] الذي كانت مكانته مثل مكانة محي الدين الذي قال أنه "***رأى في حلمه عبد القادر جالسا على كرسي الشرف حاكما للعدل***"، إلى جانب رؤية عبد القادر الجيلاني الذي رأى في منامه حيث قال: "***ابنك وأنت ستصبح سلطان العرب، إذا قبلت أنت الحكم فإن ابنك يموت، أما إذا قبل ابنك الحكم ستموت أنت قريبا***"[3]. وفي الأخير طالب محي الدين ابنه بقبول طلب القبائل في قيادة المقاومة.

المطلب الثاني: البيعة الخاصة

عرض محي الدين الامارة على ابنه عبد القادر وهو يقول: ***"ولدي عبد القادر شاب فطن، صالح لفصل الخصومة ومداومة الفروسية مع كونه نشأ في عبادة ربه واعتقدوا أني فديت به نفسي لأنه عضو مني وما أكرهه لنفسي أكرهه له، غير أنني ارتكبت***

---

(1) إدريس خضير، **البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830-1962م)**، ج1، دار العرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د س، ص 46.

(2) ولد ببني شقران وهران من أسرة متواضعة ونشأ في رعاية الحكم التركي، عينه الأمير آغا الشرق تحت خلافة بن تهامي وكان ذا خصال حميدة ومتميزة والمهارة التي جعلته ينال خطوة كبيرة لدى الأمير عبد القادر واسند إليه مهام الشؤون الخارجية فأشرف على ابرام معاهدة ديميشال والتافنة، وقد ربط علاقات وثيقة مع بعض الأوساط الرأسمالية من يهود وفرنسيين جلبت إليه العديد من الشكوك. أنظر: الزهرة بقبق، **الأمير عبد القادر في الأسر (1849-1852)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2010، ص 27.

(3) Alexandare Bellemare, **Abdelkader sa vie politique et militaire**, hachette, paris, 1854, p37.

الضررين حين تيقنت الحق فيما قلتموه مع تحققي أنّ قيام ولدي بالإمارة أشد من قيامي وأصلح، فراعيت عدم التفريط والإفراد، وإني عالم بأنه لمعالج لكبيركم وصغيركم وأتيت مني وأقدر على مسك يد المشاق والتعب والسهر وغيرها من الأمانة، فكونوا معه يدا وعضو" [1].

وقد استقبل الحاضرون هذا الحل الفجائي وغير المنتظر بأصوات عالية، فإسم عبد القادر قدر بحماس وكانت شخصيته وملامحه ورجولته موضوع الحديث الرئيسي ولهذا جاءت الموافقة عليه ورضي به الأهالي[2].

اجتمع أشراف غريس وعلماؤها وأعيانها وخيموا بوادي فروحة من غريس عند شجرة الدردارة (انظر الملحق رقم 04)، وهي شجرة عظيمة كانوا يجتمعون إليها للشورى بينهم[3]، وجاء محي الدين وأبناؤه وذويه، ولما تلاحق الناس الذين يعيد بهم أو بحضورهم البيعة، جلس عبد القادر تحت الشجرة ثم قام محي الدين وشد على يده قائلا ***"كيف ستحكم البلاد يا ولدي"*** فأجاب عبد القادر: ***"بالعدل والحق الذي أمر به رب العالمين، سأحمل القرآن بيد وعصا من حديد بيد أخرى، وسأسير على هدى كتاب الله وسنة رسوله"*** ثم التفت الوالد سيدي محي الدين مخاطبا الجموع المحتشدة قائلا لهم ***"إنه ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين لقب وليس سلطان ولا ملكا، وإنما أميرا عليكم أيها الإخوة المؤمنون"*** [4].

فبايعه والده على السمع والطاعة ثم دعا له ثم قام عم الأمير السيد علي بن أبي طالب وبايعه، كذلك إخوته وسائر القرابة، بعدها قام الاشراف والعلماء والأعيان

---

[1] أحمد كمال الجزار، **المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر**، راجعه محمد زكي ابراهيم، منتدى سور الأزبكية، القاهرة، 1997، ص 22.

[2] عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 22.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 46.

[4] بديعة الحسني الجزائري، **الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكرة وما بدلو تبديلا**، ج1، ط2، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 25.

والرؤساء على حسب مراتبهم وطبقاتهم وبايعوه على ما بايعه عليه والده، وكان ذلك في 12 رجب 1248هـ/27نوفمبر 1832م [1].

لقد جاءت هذه البيعة بالإجماع من أجل أن يحمل عبد القادر راية الإسلام وعلم استقلال الجزائريين[2]، وقد حضر البيعة من العلماء السيد الأعرج والسيد أحمد بن حوا والسيد محمد الثعالبي والسيد عبد الرحمان بن حسين الدحاوي وإخوته والسيد محمد عبد الله بن الشيخ المشرفي وجميع علماء غريس[3].

وبعد قبول الأمير عبد القادر لهذه المسؤولية بدأ في حث الناس على الطاعة والسير بمقتضى الشرع الشريف والاقتداء بالخلفاء الراشدين والسلف الصالح[4]، ثم دخل الأمير إلى المسجد فصلى الظهر بالناس وقرأ في خطبته برنامجه القائم على القرآن والسنة والمتمثل فيما يلي:

- السمع والطاعة.
- الثبات على الجهاد لإعلاء كلمة الله ودينه.
- الكفاح ضدّ العدو ودفاعا عن الوطن[5].

- ثمّ أدى القسم على القرآن أن يدافع على الدين والبلاد بما تقتضيه الشريعة ثم أردف قائلا ***" لو أقدم شقيقي نفسه على الخيانة فلسوف أريق دمه بيديّ هاتين"*** [6]، وفي الغدّ التقى عبد القادر في وادي خصيبه برؤساء القبائل وكانت الجموع مصطفة في انتظاره والأصوات مرتفعة تهدف بحياته وحياة الجزائر ثمّ بدأت الكتائب في الاستعراض واحدة

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص46.

[2] إسكوت الكلونيل، **مذكرات الكلونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841**، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 110.

[3] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص ص 92-93.

[4] مصطفى نويصر، **الأمير عبد القادر في ذكراه المئوية(1883-1983)**، طبع بالمؤسسة الوطنية، دب، 1984، ص16.

[5] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 47.

[6] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص115.

تلوى الأخرى ثم ساروا في صحبته إلى مدينة معسكر، وعند عودته أمر الأمير عبد القادر كاتبه محمد بن عبد القادر، المعروف بابن آمنة من تحرير نص البيعة[1].

ومن غير شك فإن هذه المبايعة تمت على غرار بيعة الرضوان التي بايع فيها الصحابة رسول الإسلام محمد بن عبد الله تحت شجرة الحديبية وذلك تيمنا بتحقيق النصر، واقتداء بالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام[2].

ولإن دلت هذه الظاهرة على شيء فإنما تدل على أن سلطة الأمير عبد القادر ستكون متينة وقوية لأنها استمدت من إرادة الشعب عن رضا وطاعة، وبالموافقة التامة منه.

المطلب الثالث: البيعة العامة

بعد مبايعة الأمير البيعة الأولى، أرسل الوفود والرسائل إلى بقية القبائل والأعيان الذين لم يحظروا البيعة الأولى لإبلاغهم بذلك، ودعوتهم إلى مبايعته في مسجد الحسن في عين البيضاء (انظر الملحق رقم 05) جنوب مدينة معسكر، فلبى الجميع النداء وبدأت الوفود تتولى لأداء واجب البيعة للأمير الشاب[3]، و إنعقد بذلك مجلس عام حضره زعماء القبائل والأعيان وممثلي العشائر كالبرجية والدوائر والزمالة والغرابة والجعافرة وغيرهم من القبائل[4]، فكانت بداية مراسيم هذه البيعة بخطاب الأمير عبد القادر (انظر الملحق رقم رقم 06) لجميع الحضور والذي كان مضمونة هو رفع راية الإسلام عاليا في سماء البلاد، والدفاع عنها وعن الرسالة التي حملها السابقون منهم أمثال طارق ابن زياد وموسى بن نصير، ولزوم الطاعة بالقول والفعل للخليفة لإقامة العدل وجمع الشمل ومحاربة العدو فلاقت هذه الخطبة حماسا منقطع النظير من جموع الحاضرين، وضج

---

[1] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 229.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 46.

[3] عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، 23.

[4] بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، 28.

المسجد بأصوات الحضور الله أكبر، وبهذا تمت البيعة العامة في 13 رمضان سنة 1248 ه الموافق ل 4 فبراير 1833.

وبعد أداء مراسيم البيعة العامة وتدوين نص الوثيقة لهذه البيعة من قبل سيدي محمد بن حواء المهاجري، مؤكدا في نص المكتوب أن المبايعة كانت عن الرضا وأنها جاءت على كتاب الله وسنة رسوله، وهي بيعه عزّ وتعظيم وتبجيل وتكريم، بيعة يعزّ الله بها الإسلام ويخذل بها الفجار اللئام، فلقي ذلك الاستحسان والاستجابة من قبل الجميع[1].

ومن هنا استقر الأمر للأمير وأصبح السلطان الشرعي للبلاد، حيث أن سلطته لم تكن عن طريق الوراثة أو التعيين وإنما عن طريق الانتخاب والشورى وهي بيعة رضا الأهالي وبذلك تعتبر سلطة الأمير سلطة شرعية قانونية[2].

وهنا يمكننا القول أن اختيار الأمير للإمارة كان راجع لتكوينه الروحي الذي كان فحوى حياته والذي تمثل في:

- **نسبه:** والذي كان ذا منزلة كبيرة عند الكثير من القبائل حيث أهله أن يحتل مكانة عالية بين مشيخته، ونشره الدين منذ صباه بتعاليمه الحقة وتعمقه بها.
- **قوة شخصيته:** فالأمير كان ذا مواهب متعددة وكان ذا عزم وتحفظ وارتقاء، فكان يحمل إيمانا داخليا بالعظمة في وطنيته، وهذا ما أشار إليه أحد أحفاده في *قوله "**إنه من تجلت بثنائه العاطر ألسنة أعاظم الأكابر، إنه أشبه من السلف بعمر بن عبد العزيز في زهده ورشاده ومن الخلف بيوسف صلاح الدين في حركاته وغزواته وجهاده، ويكفيه أن الخصم الألد تكلم فيه بلسان الخل الأود"*** [3].
- اختير الأمير بسبب إسهامه في القتال بين صفوف الذين تطوعوا مثله لمواجهة العدو ضد بلدهم.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص206.

[2] إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص34.

[3] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص47.

- كما كان انتمائه الديني طريق لاكتسابه الرئاسة خاصة وأنه كان رائدا للطريقة القادرية واستطاع أخذ العهد على أيدي مشايخ هذه الطريقة.

شرعية البيعة الخاصة:

من خلال نص البيعة يمكن القول أن هذه الأخيرة تعد الدعامة والمرجع الرئيسي لعبد القادر، خاصة وأنها لم تتم لاتبعا لنسبه ولا لثروته ولا تبعا للطمع وإنما كانت لما تتوفر فيه من كفاءة في القتال والعلم خاصة وأن الذين شهدوا له بكل هذا هم علماء الأمة والأشخاص الذين خاضوا معه المعارك السابقة وخاصة معركة خنق النطاح، كما أن مبايعته للإمارة جاءت بالإجماع من طرف العلماء والأعيان، مما أعطى الصبغة الشرعية للمبايعة، كما تمت على شرط أن تتحقق فيه تقوى الله عز وجل وطاعته سرًّا وعلنا وعدم إتباع الهوى، وهذا ما تضمنته البيعة من خطوط عريضة للبرنامج الذي سيقوم الأمير على تحقيقه وهو توحيد صف القبائل لنصرة دين الله تحت راية قائد يستطيع تنظيم الجهاد ضدّ العدّو دفاعا عن الوطن، وتقويم النظام والعمل على تحقيق الأمن وصيانة النفوس.

شرعية البيعة الخاصة:

لقد تأثر الأمير بالمسار التاريخي الإسلامي منذ بيعة عمر لأبي بكر الصديق في سقيفة بني ساعدة، ويلاحظ عليه أنه تشرب القرآن والحديث وفاق كل الحكام والرؤساء في الجمع بين بعده الديني وتطبيقه الشريعة، ويظهر ذلك في حرصه على ضرورة البيعة العامة بغرض تكملة شرعية البيعة الخاصة.

قامت دولة الأمير على شرعية شعبية كان أساسها رضا الناس والتشاور حول تأييد الأمير، وهذا ما ظهر من خلال نص البيعة بالتأكيد على ضرورة الإجماع في هذه البيعة كتأصيل شرعي وبالتالي ضرورة وجود قائد يبايع على الكتاب والسنة والسمع والطاعة، وبهذا اكتملت شرعيتها كما نصت عليها الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: الشورى

كان لتربية الأمير الدينية دور بارز في إدراكه لأهمية الشورى باعتبارها الوسيلة الوحيدة القادرة على إلغاء أشكال الاستبداد، بالرجوع إلى حكم الجماعة وبناء الجماعة على ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [1]، فأراد الأمير أن تقوم دولته على هذا النوع من النصوص الإلاهية والتزامه برأي الجماعة في تسيير شؤونها، بالإضافة إلى اقتدائه برسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي اعتمد على مبدأ الشورى حيث كان يأخذ بمشورة أصحابه في العديد من القضايا، فارتأى بأن يقيم مجالس للشورى من أجل مناقشة القضايا والتشاور فيها والالتزام برأي الجماعة تطبيقا لقوله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2] فقام بتأسيس مجالس للشورى اعتمد عليها في جل القضايا.

المطلب الأول: المجلس الشوري الأعلى الأميري

أنشأ الأمير المجلس الشوري الأعلى الأميري من كبار الفقهاء والقضاة [3] وربط إدارة هؤلاء القضاة بمراجعة قاضي القضاة السيد أحمد بن الهاشمي المراحي رئيس مجلسه الخاص[4]، وبلغ عدد أفراد هذا المجلس أحد عشر عضوا يمثلون مناطق مختلفة [5] وهم السادة ***«أحمد المحفوظي، بن أحمد بن الطاهر بن الشيخ المشرقي، ومحمد بن مختار الوراغي والمختار بن المكي، الحاج عبد القادر بن روكس، ابراهيم بن القاضي، عبد القادر بن روكش الورغي، أحمد بن التهامي، عبد الله سقاط المشرفي، طاهر المحفوظي، المكي الخرنوبي»*** [6].

---

[1] سورة آل عمران، الآية رقم (159).

[2] سورة الشورى، الآية رقم (38).

[3] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص309.

[4] نزار أباضة، **الامير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد**، دار الفكر، دمشق، 1994، ص11.

[5] محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص34.

[6] بلال حسنى، المرجع السابق، ص82.

وقد كان للمجلس سجل خاص تسجل فيه القضايا ثم تعرض على الأمير عبد القادر ويتولى هو مسؤولية تحضير الجلسات ويرأس المجلس بنفسه وأما عن الأحكام فتصدر باتفاق كل أفراد المجلس على نوع الحكم، وللمجلس ديوان الإنشاء الذي أنيط بعهدته هذه الأمور لضبطها وتسجيلها ويرأسه مصطفى بن أحمد التهامي[1].

وإلى جانب هذا أضاف الأمير لمجلس الشورى الأعلى، مجالس للشورى الفرعية وصلاحيتها تتمثل في مساعدة الإدارة المركزية وإعانة المقاطعات على القيام بمهامها وفقا لما تنص عليه الشريعة الإسلامية[2].

فمهمة هذه المجالس هي الحكم في النوازل والأحداث المهمة التي تحدث بين الأفراد أو ما تعلق منها بمصالح الدولة [3]، وكذا مناقشة الفتاوي والآراء الفقهية المستمدة من الكتاب والسنة واستقر عليه اجماع الأئمة والفقهاء [4] وجعل انتخاب اعضاء هذه المجالس على الخلفاء، والقضايا التي تنظر فيها يكون فصلها على الوجه الشرعي، ويكتب فيها صكوك يضع أصحاب الشوري فيها أسماءهم بخطوط أيديهم ورئاسة كل منها تناط بالقضاة فإذا حضرها الخلفاء فالرئاسة لهم[5].

وتتمتع هذه المجالس بالنظر في قضايا تشريعية دقيقة خارجة عن صلاحياتها وتتعدى حدود مقاطعاتها، وفي هذه الحالة تعرض على المجلس الشورى في معسكر الذي يجتمع برئاسة الأمير لإصدار القرارات المناسبة بشأنها، ومع ذلك فإن جميع قرارات هذه

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص72.

[2] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص143.

[3] رابح بونار، المرجع السابق، ص46.

[4] أحمد مطاطلة، المرجع السابق، ص183.

[5] فوزي أوصديق، «دستور دولة الأمير عبد القادر»، **أشغال الملتقى الثقافي الوطني**، صدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1996، ص81.

المجالس لا تكون نافذة إلا بمعية المجلس العالي الأميري أو المجلس الاستشاري[1] أما عن نفقات هذه المجالس فكانت تصرف من بيت المال كباقي كوادر الدولة[2].

المطلب الثاني: اختصاصات المجلس الشورى الأعلى الأميري

لقد كان للمجلس الاستشاري مكانة متميزة في نفس الأمير كما كان يستشير أعلام الإسلام عندما يشكل عليه أمرا من الأمور الصعبة. وكان الأمير يستعين بهذا المجلس ويأخذ بمشورته في كثير من المسائل الهامة، لاسيما ما تعلق بمرفق القضاء[3] كمراجعة أحكام القضاة ونقص كل ما يخالف الكتاب والسنة والعرف من أحكام أو فتاوى مجالس أخرى[4]، وبعض الموضوعات ذات الصيغة المالية كفرض الضرائب الإضافية في الظروف الحربية التي تميزت بها دولة الأمير.

كما كان المجلس يجتمع للنظر في مسائل الهدنة والحرب والسلام، وكدليل على ذلك[5] ***"الاجتماع الذي جرى قرب مليانة لرفض الموافقة على تعديل معاهدة التافنة حسب الاتفاق الجديد، اتفاق ابن عراش في 4 جويلية 1838، وكذلك الاجتماع الشوري الذي جرى لإعلان الجهاد ضدّ العدو،بعد اجتياز الجيش الفرنسي أبواب الحديد في نوفمبر 1839"***[6].

كان من اختصاصات هذا المجلس أيضا توزيع المناشير التشريعية على شيوخ القبائل مراجعة القضايا الصادرة على المحاكم الأولية والبحث في توزيع البعض منها[7]،

---

[1] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص311.

[2] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص134.

[3] فوزي أوصديق، المرجع السابق، ص82.

[4] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص112

[5] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص112.

[6] فوزي أو صديق، المرجع السابق، ص83.

[7] رابح بونار، المرجع السابق، ص46.

بالإضافة إلى المفاوضات في الدعاوي المهمة التي تحدث بين الرعايا ومصلحة المملكة[1].

فعلا فقد استطاع الأمير بناء دولة حديثة إسلامية الروح وفقا للمسلك الذي سلكه وهو الشريعة الإسلامية التي تصلح لكل زمان ومكان، ووطنية الأهداف، فقد حقق دستوره الذي دعا إليه في خطبة المبايعة، فسارت دولته وفقا للكتاب والسنة، وكانت الأحكام القضائية في إمارته تصدر طبقا للقرآن الذي خضع لنصه وروحه، فتوصل لأعلى المبادئ في مجال التسيير الإداري واختيار القادة، وهذا بشهادة أحبائه وأعدائه.

المطلب الثالث: نماذج من الشورى في عهد الأمير عبد القادر

1-الشورى في إنشاء الزمالة:

بعد نقض معاهدة التافنة واستئناف الحرب بين فرنسا والأمير 1839م، كان على الأمير حماية أهله وعشيرته والمقاومين المجندين في صفوف جيشه وعائلات خلفائه ولهذا الغرض عقد الأمير مجلس الشورى وعرض على أعضائه إنشاء مركز متنقل على شكل مدينة متكونة من الخيام، سهلة المضارب والتركيب لتفعيل الحركة والتنقل لتكون مركزا لانطلاق الجيش ودائرة للتخطيط وتوزيع المهام فوافق أعضاء المجلس الشوري على هذا الاقتراح تحقيقا للمصلحة العامة[2].

2-الشورى في قضية تأخر الجندي عن الجهاد:

حرص الامير على معاقبة بعض الجنود المتأخرين في الانضمام الى الجهاد من أجل الدفاع عن الدين والوطن، فوجه رسالة الى الشيخ الحسن علي بن عبد السلام التاسولي

---

[1] بديعة الحسنى الجزائري، المرجع السابق، ص81.

[2] بلال حسني، المرجع السابق، ص 86.

الفاسي[1] من أجل مشورته في قضية التخلف عن الجهاد في الأقطار الاسلامية وسعيا منهم لإشراك العلماء في قرارات مصيرية تتعلق بردع المتخلفين عن الجهاد أجابه التسولي بقوله: *"الممتنع عن الجهاد جزائه العقوبة في الدنيا والآخرة"* وذلك لقوله عز وجل:﴿ ***إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا*** ﴾[2] مؤكدا من خلال إجابته أنه متى إستنفرى قوم وجب عليهم النفير وحرم عليهم التخلف، لأنه أمر إلهي لا نقاش فيه[3]

3- بعض الاستشارات القانونية:

وجه الامير عبد القادر سؤالا الي علماء فاس عن طريق السلطان مولاي عبد الرحمان من أجل استشارتهم في النقاط القانونية التالية:

- فيما يخص المسلمين اللذين يساعدون غير المسلمين على الدخول إلى التراب الوطني، وإعلان سيادتهم وكذا منحهم أحصنة، ويكشفون أسرار المسلمين، فكان جواب الفقيه علي بن عبد السلام التاسولي: *"**يجب قمع من يخفون الجواسيس ويدلون بمعلومات الي العدو ويشهرون بسلطة الخائن، إنهم أكثر حقارة من العدو نفسه لأنهم يتحالفون مع الخونة بل هم الخونة أنفسهم**"*. أما فيما يخص التجار، فهم مثل الجواسيس يجب قتلهم بعد ثبوت الحجة على تورطهم [4].

كما تم توجيه استشاره أخرى إلى أمير فاس تمحورت في عدة مجالات كانت كالاتي:

---

(1) هو من قبيلة تسول المغربية، فقيه من علماء المالكية، تسول الأصل والمولد، يلقب (مديدش) نشأ بفاس ولي القضاء بها ثم بتطوان وغيرها، توفي بفاس سنة (1258ه/1842م) له من المصنفات جواب على سؤال الأمير عبد القادر الجزائري، البهجة في شرح التحفة. أنظر: عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 256.

(2) سورة التوبة، الآية رقم (39).

(3) عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 257.

(4) بن أشنهو.ع، **الدولة الجزائرية في 1830 (مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر)**، تر: لعراجي نور الدين، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013، ص ص 122-121.

- كيف تتم معاملة القبائل المتمردة التي تفرض دفع الضريبة؟ فكانت الاجابة عن هذا السؤال بـــ: مقاتلتهم إلى غاية إخضاعهم بالكامل وإجبارهم على تنفيذ التعليمات إلا إذا عادوا بنية حسنة وهنا يحقق لهم طلب العفو.
- فيما تتمثل المسؤولية الجماعية اتجاه الجرائم التي يرتكبها فرد من أفراد القبيلة؟ وكانت الإجابة تحتوي على ثلاث فرضيات:

فالأولى يلجأ الجاني إلى مسلم لا يوافق عليه ولا يتواطأ معه إذ لا يتحمل المضيف المسؤولية. أما الفرضية الثانية، فيردع المضيف الجاني ويعيده إلى الطريق الصحيح من دون إيوائه أو التواطؤ معه وهنا تكون مسؤوليته ملتزمة ربما.

أما الفرضية الثالثة، يقوم شخص ما بحماية الجاني ويتقاسم آرائه ويساعده ويتكفل به، يرتكب هذا الشخص جريمة الجاني نفسه.

- هل يترك العاهل وممثلوه الأفعال الذميمة التي يرتكبها السكان بدون عقاب؟ فكان الجواب: تفرض العقوبة، ومن واجب كل مسلم أن يخطر بهذه الأفعال (فرض عين).

والملاحظ هنا على أن الاجوبة كلها نابعة من القران وأقوال الفقهاء، وهذا ما يدل على أن الامير كان شديد الصلة بما أقره الله تعالى علينا من عقوبات[1].

[1] بن أشنهو. ع، المرجع السابق، ص ص 123-124.

الفصل الثاني

الجوانب الروحية للأمير عبد القادر

في المجال العسكري

المبحث الأول: الجهاد وضرورته

تدبر الأمير في واجبات الشريعة، لاسيما واجب الجهاد في عصره، رأى فيه تربص الغرب بالأمة نتيجة ما ابتكر من أسباب القوة والقهر فكان له أن يقوم بتقويم الوضع المحلي على خط من الموضوعية المستمدة من إطلاع ميداني وخبرة علمية ومعرفة بقدرات الغير وإمكاناته الصراعية، لكنه انتهى إلى المواجهة الجهادية بين الأمة وأعدائها رغم عدم الامكانية التي كانت عليها أوضاع البلاد من منطلق ما أكدت عليه مبادئ القرآن العظيم على حتمية حصول التغيير إلى الأحسن، لذلك أوعز لبيانات الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته وللمسلمين، حين شددت على وجوب خوض المعارك الأكثر إحتداما وعنت بها مجاهدة الأهواء ومصارعته للنزوات والنزاعات المردية.

المطلب الأول: الدعوة إلى الجهاد

انطلاقا من تعاليم الدين الإسلامي فيما يخص ضرورة الجهاد لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1].

حث الأمير عبد القادر على الجهاد منذ مبايعته للإمارة، وهذا ما جاء في نص البيعة الأولى الذي ينص على الجهاد ضدّ العدو دفاعا عن الوطن، فكانت مبايعته المرجع الرئيسي في حمله راية الجهاد (انظر الملحق رقم 07)، وظهور الروح الحربية لديه بأبعاد دينية منبثقة من تكوينه وتربيته.

[1] سورة المائدة، الآية رقم (35).

تأكد الأمير عبد القادر بأن الجهاد هو سبيله المقدس نحو بلاده، ونحو الله وإنطلق من عقيدته، معلنا الجهاد المقدس، فنادى قومه للجهاد العام وهو يردد "***هيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد، وهلموا إليه باجتهاد وارفعوا عن عواتقكم برود الكسل، وأزيلوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجل، أما علمتم أن من مات منكم مات شهيدا، ومن بقي نال الفخار وعاش سعيدًا***" [1].

فلبى الناس النداء وجاؤوه على كل ضامن ومن كل فج عميق يدفعهم الحماس بنصرة الدين والوطن طاعة لأميرهم الذي بايعوه على أن يكونوا معه ورهن إشارته في السراء والضراء، ولم يتوانى الأمير مرة واحدة عن تلبية نداء الجهاد فكان بعد كل مجزرة يتعرض لها يجدد العهد بدمائه على مواصلة مشواره الجهادي دفاعا عن الشرف المداس، فكان يردد على مسامع الجميع من قواته أهداف العهد الجديد[2] فيقول "***الجهاد الجهاد! لا حرية ولا استقلال إلا بالجهاد! الجنة تحت ظلال السيوف هلموا جميعا إلى راية الجهاد***" [3].

رغم الظروف التي كانت محيطة بالأمير ظل الجهاد بالنسبة له جزء لا يتجزأ من الإيمان القوي ولا يمكن أن يتخلف عنه أي مسلم لأنه فرض في قوله تعالى: ﴿**وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ**﴾[4].

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص55.

[2] عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص ص41-44.

[3] فتحي دردار، المرجع السابق، ص32.

[4] سورة الحج، الآية رقم(78).

كان هدف الأمير عبد القادر من الجهاد أن يجعل من الجزائريين شعبا واحدا باستمالتهم إلى المبادئ الإسلامية، واستدعائهم إلى فضائل أهل القرون الأولى للهجرة وإيقاظهم من الغفلة وأن يرفع راية الجهاد دفاعا عن النفس[1] مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[2] وإن إيمانه وإخلاصه في الجهاد جعله يقدم كامل التضحيات ولم يتردد في ذلك أبدا مهما كان الثمن، لدرجة أنه كان لا ينام ولا يغمد سيفه لأسابيع طويلة، فكان يقول في ذلك ***"أن ساعة واحدة في قتال الكافر، أحسن من المكوث في مكة سبعين سنة"*** وبذلك كان هدفه الأسمى إعادة الأمة المجاهدة المحاربة للوجود من منطلق ديني[3].

المطلب الثاني: شروط الجهاد عند الأمير

كان الأمير يعتبر الجهاد شعار الأنبياء وحرفة المؤمنين الأتقياء[4]، فكان مؤمنا بأن الدين هو العنصر الوحيد القادر على إعطاء الفعل والتصرف الإنساني أبعادهما الحقيقية واتجاهاتهما الصحيحة، لهذا انطلق من عقيدته الدينية معلنا الجهاد ضدّ الاحتلال الفرنسي فكانت نظرته للمسلم ليس بذلك المتعطش للدماء والقتال، بل هو الذي يفرق بينهما حتى لو كان القتال لهدف عادل ومشروع، لأن الجهاد يتطلب شروط معينة:

- أنه يتطلب إخلاص النية، شرط كل العبادات في الإسلام ليبتعد المقاتل عن كل الأغراض الشخصية، ويسمو إلى منزلة المجاهد، من أجل إعلان دين الله وكلمته

---

[1] محمد مراد بركات، المرجع السابق، ص19.

[2] سورة البقرة، الآية رقم (190).

[3] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص269.

[4] يحي بوعزيز، «موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر»، **مجلة الأصالة**، ع 23، مطبعة البعث، الجزائر، 1975، ص26.

تعالى فالدين هو الإسلام وكلمته هي القرآن[1]، وهو من خير زوجته بين البقاء معه مع انشغاله بأمور الجهاد أو الانفصال عنه،[2] فالإسلام والقرآن قد أمرا بالخضوع لأوامر ونواهي الله عز وجل، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[3].

- ضرورة الجهاد بعد التعرض لمواجهة المحتل وهذا ما نص عليه كتاب الله في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[4].

_ ضرورة ربط الجهاد بأركان الإسلام خاصة منها الصلاة مما يعطى الجنود قوة الإيمان من الله غز وجل للاستعداد وكي لا يفقد صلته بربه[5].

المطلب الثالث: إدارة المعارك

أولى الأمير عناية كبيرة على الجانب المعنوي كركيزة أساسية لقوة جيشه ولهذا اعتمد على سياسة مجابهة النفس مع جنوده وعلى البساطة والاهتمام كما ركز على دعامتين مادية ومعنوية لتنظيم قوة الجيش القتالية تمثلت الأولى في وفرة الجند وكثرة السلاح وحسن التدريب على العتاد العسكري الحديث، أما المعنوية وهي الطاعة

---

[1] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص267.

[2] يحي بوعزيز، الأمير، **عبد القادر رائد الكفاح المسلح**، المرجع السابق، ص81.

[3] سورة الصف، الآية رقم(09).

[4] سورة البقرة، الآية رقم(190).

[5] أليكس بليمار، **الأمير عبد القادر حياته السياسة والعسكرية**، تر، بشير علية، دار ألف للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص95.

والانضباط والرحمة والثقة المتبادلة ولضمان ثبات هذه الدعائم سن الأمير قانونا عسكريا خاصا بالجند لأن وجود القانون يوحي بالدرجة الأولى إلى ضرورة الدفاع المنظم كما كان للقوة قانونا ينظمها، وكان لها هدفا تشكلت لأجله وهو محاربة العدو[1].

ولأن الدين يمجد إعداد القوة لمحاربة العدو : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[2] ، فشرع عبد القادر في إعداد قوة عسكرية ، فإلى جانب أنها تعطي صورة مهيبة للإمارة فإنها أيضا تفرض النظام والأمن في ربوع الدولة التي انتشرت فيها الفوضي والاضطراب[3]، كما فتح المجال للتطوع بالنسبة للأفراد القادرين على حمل السلاح ما بين 20/15 سنة مقابل مرتبات وإمتيازات[4]، وهذا ما أشار إليه هنري تشرشل بقوله ***:"ان كل من يرغب في ان يلبس لباسا أنيقا وأن يصبح إبنا للسلطان ، عليه أن يأتي ويلتزم بذلك فإنه يحصل على راتب محترم وسيعفى من كل شيء"***[5]. ومن هنا شرع في إعداد جيشه وأطلق عليه اسم اللواء المحمدي، ولم يوكل مهمة الاهتمام بالجيش إلى أي أحد بل تكفل بنفسه لتدريبه وتنظيمه لما يمثله هذا القطاع من أهمية بالغة ، فعليه تقف قوة الدولة وعزتها ومناعتها[6].

قام الأمير بتنظيم جيشه وتسليحه وتدريبه وفقا للتنظيمات التي تحظى بها الجيوش الحديثة مستعينا في ذلك بمدربين عصريين في الغالب من الأجانب، أو الفارين من الجيش الفرنسي والمجندين عند الاتراك، وكان الجيش النظامي يظم جل المتطوعين الذين يقبلون

---

(1) بن ساعد عائشة، المرجع السابق، ص 270.

(2) سورة الانفال، الآية رقم (8).

(3) عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص23.

(4) ناصر الدين سعيدوني، عصر الامير عبد القادر، ص 141.

(5) هنري تشرشل، المصدر السابق، ص140.

(6) محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 191.

الخدمة بصفة دائمة، وكان الأمير يضمن لهم حقوقهم من (مرتب، مئونة، معاش) للأسرى في حالة الاستشهاد أو الأسر، وهم بدورهم ملتزمين بواجب الدفاع عن البلاد وتحريرها من الغزاة[1].

وقد كانت تقسيمات الجيش الي ثلاثة اقسام:

- المشاة: تنقسم الى مئات على راس كل مئة قائد وله معاونه.
- الخيالة: تتألف من كوكبات كل كوكبة من خمسين فارسا[2].
- المدفعية: عين لكل مدفع اثني عشر جنديا ورئيسهم الباشا طوبجي[3].
- الحرص الأميري هذه المجموعة تتألف من 100 فارس موزعين على خيام، كل واحد منها ضمت 20 جنديا لهم ضابط أول اتخذهم الأمير لحمايته أثناء السير ولحراسته ليل نهار وفي القتل وعند التوقف ويقودهم سالم آغا الزنجي[4].

أما الجيش الغير نظامي أو ما يطلق عليه بالجيش المساعد أو القوة الثانية والذي جمع كل القبائل المؤيدة للأمير والموزعة على مختلف أنحاء المقاطعة الادارية وقد شكلت القسم الأكبر من جيش الولاية إذ أنها كانت تسارع للالتحاق بالوحدات النظامية لتقاتل في صفوفها عندما يدق النفير، ثم تعود إلى ديارها فور انتهاء المهمات الموكلة إليها، وقد كانت هذه القوات مكلفة بالإمدادات والإسعافات ومراكز الايواء وكذلك الاتصال والأمن والحراسة والأخبار[5].

---

[1] عبد الرزاق بن سبع، المرجع السابق، ص34.

[2] أيتين برونو، المصدر السابق، ص1954.

[3] كلمة تركية وتنسب الى طوب وهو المدافع، والطويجية أي المدفعيون هم العناصر التي يستعملون المدافع أثناء التمارين أو في القتال. أنظر: محمد علاق، المرجع السابق، ص42.

[4] لخضر بكاي، المرجع السابق، ص85.

[5] أديب حرب، **التاريخ العسكري والإداري للأمير**، ج2، المرجع السابق، ص 85.

كما حرص الامير على تسليح جيشه بأسلحة جلها كان من صنع إنجليزي وفرنسي حصل عليها إما كغنائم بعد المعارك أو من الجنود والفارين أو بشرائها من المغرب الأقصى إلا أنها لم تكن كافية لطول مدة الجهاد، ولهذا قرر صنع السلاح فأقام مظاهر للمدافع ومطاحن للبارود، ومصانع للأسلحة الحقيقية، فأنشأ مصنعا بمليانة مخصص للبنادق والبارود [1].

المبحث الثاني: تعاملاته الحربية

إن المظاهر الإنسانية في أخلاقيات الأمير عبد القادر وفي سلوكاته ومواقفه لم تكن وليدة المواقف الظرفية، إنما هي متأصلة من ثقافته وتربيته الروحية التي تلقاها في بيئته لذلك تراه لا يجحد في معاملته مع غير المسلم منطلقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ ***لا فرق بين عربي أو أعجمي إلا بالتقوى*** ﴾ كما كان يتعامل مع غير المسلمين عن طريق أسلوب الحوار ويثبت بأنه يمكن أن يكون الحوار بين الاسلام والمسحيين وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[2] فإنسانيته تكشف عن مرجعيته الروحية وثقافة التسامح التي أشاعها الاسلام فهو يتعامل بكل حرية دأبه في ذلك نشر التسامح والمحبة لكل انسان.

المطلب الأول: تعامله مع الجنود

كان الأمير عبد القادر يراهن على الجانب المعنوي كركيزة أساسية لقوة جيشه ولهذا اعتمد على البساطة والتواضع في معاملته لهم، مع ترويضهم على السهر كي لا يطغى

---

[1] عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص87.

[2] سورة المائدة، الآية رقم (82).

عليهم الكسل شحذا للهمم من خلال الشعارات الدينية المشجعة والمكافآت المتمثلة في الرتب العسكرية والمادية[1]، كما أولى اهتماما بالغا بغذائهم، ومثال ذلك ما أورده تشرشل في كتابه: "***أنه ذات يوم قدّم على عبد القادر وضباطه وعلى وجوههم فرحة غامرة لوجودهم قطيعا من الغنم وقد رفض السلطان تناول وجبة طعام دسمة***" وقال لهم: "***خذوها إلى جنودي الذين يكادون يموتون جوعا وعاد هو إلى وجبته العادية من ثمار البلوط***"[2]، وهذا ما يدل على اقتداء الأمير عبد القادر بنبينا داوود عليه السلام حين وصل بيت لحم وكان ضمئان فامتنع عن شرب الماء، وأروى أصحابه الذين كانوا أشد ضمأ.

كما اهتم الأمير اهتماما كبيرا ببعض أدوات الحرب وهي الطبل والموسيقى التي تستخدم للاتصال ورفع الروح المعنوية للجند أثناء القتال[3]، فأوجد قاعدة بهذه المصلحة على المستوى المركزي، فوزع مهامها على العسكر حسب الاحتياج والضرورة، وكما تولى مسؤولية تدريب أفراد الجيش على فهم وإدراك معاني نقرات الطبل والامتثال لها[4].

كما اهتم أيضا بصحة جنوده فحرص على سلامتهم تمجيدا للروح البشرية، فأوجد مصلحة مختصة في الطب العسكري ووضع على رأسها طبيب له شهرة في عصره وهو أبو عبد الله الزروالي، هذا الأخير الذي كانت له خبرة وحنكة في العلاج والجراحة ومعرفة واسعة في الأعشاب الطبية وخصائصها العلاجية والجراحية[5]، وكان الطبيب الكبير يشرف على المصالح الفرعية التي أنشأت في عدد من المقاطعات التي ترابط بها القوات النظامية، كما يشرف على تدريب الممرضين الذين كانوا يختارون من بين الجنود

---

[1] عائشة بن ساعد، المرجع نفسه، ص 276.

[2] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 212.

[3] جمال قنان، **دراسات في المقاومة والاستعمار**، طبع بالمؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1998، ص 51.

[4] فتحي دردار، المرجع السابق، ص 94.

[5] جمال قنان، المرجع السابق، ص 50.

الذين تتوفر فيهم طيبة المعاشرة والشعور الإنساني، فيرتقي ذوي الاستعدادات والمهارات منهم للرتب الأعلى في السلك الطبي[1]، كما استدعى الأمير أطباء من فاس والرباط وتونس لنقل العلوم الطبية في المعاهد للطلبة المتفوقين دافعا أموالا كبيرة لشراء الكتب العلمية والطبية[2]، وهذا ما يذكرنا بقدوته في تعامله بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم عندما أمر بتخصيص خيمة للصحابية الجليلة رفيدة بنت سعد، لتعالج فيها جرحى ومرضى المجاهدين فكان هذا أول مسجد في الإسلام.

أظهر الأمير إنسانيته في جنوده حين قال "***إذا جرح القتال أحد الجنود جرحا يمنعه من المشي ولا يقدر على القتال راكبا فيجعله السلطان نصرة الله خيالا، وإن تعطل بالكلية فإنه يجري عليه راتبه إلى أن يموت***"، أما في حالة الاستشهاد يبقى الراتب جاريا لأولاده إلى أن يقدر أحدهم حمل السلاح[3].

حدد درجات الرتب لكي يميز الرئيس عن المرؤوس، فمنح الضباط بحسب رتبهم علامات فارقة من الذهب والفضة ونقش على هذه العلامات آيات وعبارات تحمل جميعها طابع النظام والطاعة والجهاد، وقرر منح الأوسمة لمستحقيها من شجعان الجنود من خلال ما أورده في خطاباته الحربية "***الجندي الذي ينقض على صفوف العدّو فيغلب خصمه ويجرده من سلاحه، أو يدعو الجنود للصمود عندما يكونون على شك الهزيمة، ويمنع بمثاله وحضور عقله وقرع الفشل أو الهزيمة سيعلق له السلطان شخصيا الوسام أمام الجيش كله، وتعلق بطولته بدق الطبول***" ويختلف هذا الوسام بحسب جدارة مستحقه، فهو يتكون من يدّ فضية، أو فضية مموهة بالذهب ممتدة الأصابع، وعدد الأصابع الممتدة يشير إلى عدد مواقف البطولة التي وقفها الجندي، وكل أصبح ممتّد يجعل البطل مستحقا لراتب

---

[1] فتحي دردار، المرجع السابق، ص 94.

[2] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 277.

[3] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 278.

إضافي يبلغ شلنا واحدا شهريا، وفي وسط الوسام كتبت عبارة "***ناصر الدين***"، وكان الوسام يلصق لا على الصدر ولكن على أحد جانبي رأس البرنس[1].

كما حرص على توفير اللباس لجنوده، فكانت بدلة الجندي (أنظر الملحق رقم 08) تتكون من سروال أزرق داكن مع حمرة ومن معطف بني له غطاء للرأس وطاقية وشاش صغيرين وخيطت على معاطفهم عبارة "***ثق في الله ورسوله _ جاهد وانتصر***" وخيطت على الكم الأيمن لكل قائد العبارة التالية "***الصبر والمثابرة مفتاحا النصر***"، وعلى الكم الأيسر "***لا إله إلا الله محمد رسول الله***"، أما المدافعون فيحملون عبارة "***وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى***" [2] وبالنسبة للسياف "***لا أضر من المخالفة وعدم الطاعة***".

أما فيما يخص تسليح جنوده فيعطي الأمير نفسه التوضيحات التالية "***كل جنودي كانوا مسلحين ببنادق فرنسية أو إنجليزية، تحصلت عليها خلال معاركنا وعند الفارين من الجيش، أو شرائها من المغرب.... وكان الكبريت يأتي من فرنسا أما ملح البارود فكنت أجده في كل مكان خلال زمن السلم وكانت المدن الساحلية الفرنسية تزودني بالرصاص وقد أعطاني المغرب منه كمية معتبرة، كما أنني تمكنت من استعمال منجم للرصاص في الونشريس***"[3].

المطلب الثاني: تعامله مع الأسرى

كان الأمير مثالا للعدل والرحمة، فقد استطاع بناء دولته على منظومة جيدة من المبادئ والقيم الأخلاقية، إذ كان قدوة في تعامله الإنساني وتجلى هذا في حسن معاملته للأسرى والمعتقلين من جيش العدّو. وقد أكد العديد من الباحثين على أن معاملة الأمير

---

[1] فتحي دردار، المرجع السابق، ص ص41-42.

[2] نزار أباظة، المرجع السابق، ص12.

[3] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 122.

لسجناء وأسرى الحرب كانت مبنية على التسامح ونبذ العنف واحترام حقوقهم[1]. ولعل من أهم ما زاد في القيمة التاريخية لشخصية الأمير، تلك المواقف الشهيرة لمعاملته الراقية للأسرى، والتي أعطت صورة مثالية لما ينبغي أن يكون عليه الرجل المصلح المعبر عن شخصيته المسلمة[2].

إن تشبع الأمير بقيم الحضارة الإسلامية منذ صغره هو الذي جعله يفهم حقيقة معاملة الأسرى، فإلى جانب معرفته الجيدة لقوانين الحرب كان الأمير يحرص على تطبيقها وفقا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم[3]وهذا ما أكده عند مبايعته محددا دستور البيعة الذي يعني بداية لتأسيس دولته، بقوله" ***وأنا بدوري لن آخذ بقانون غير القرآن، لن يكون مرشدي غير تعاليم القرآن***" فكان صاحب عناية كبيرة وعاطفة رحيمة بهؤلاء الذين يأسرهم جنوده ويأمرهم بمعاملتهم بطريقة إنسانية[4]، وقد دعم أوامره بهذا الحديث النبوي " ***اقتلوا طيلة وقت المعركة وبعد انتهائها أو ثقوا الأسرى، ليكونوا بعد ذلك محل عفو أو مبادلة***"[5].

كانت من عادة الأمير أن يرسل الرجل إلى" تازة" أو "تاكدامت" أما النساء فقد كن بلا استثناء يرسلن إلى الزمالة حيث تعتني بهن والدته[6].

كان عبد القادر يعامل أسراه كضيوف يرسل لهم النقود من جيبه الخاص ويوصي بطعامهم وكسوتهم بل مكنهم من تلبية حاجاتهم الروحية[7]. ولم يقف عند هذا الحد، بل

---

(1) محمد علاق، المرجع السابق، ص103.

(2) عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص281.

(3) محمد علاق، المرجع السابق، ص103.

(4) محمد مراد بركات، المرجع السابق، ص21.

(5) أليكس بيلمار، المرجع السابق، ص203.

(6) محمد مراد بركات، المرجع السابق، ص21.

(7) فريدة قاسي، المرجع السابق، ص53.

ذهب إلى أبعد من ذلك إذ عين بطلب من الأب سوشيه قسًّا يرافق باستمرار الأسرى الفرنسيين[1] ليصلي بهم ويواسيهم ويتراسل مع عائلاتهم ويكون واسطة لهم للحصول على النقود والثياب والكتب، ويحفظ عنهم شدة الأسر، وسيكون هو محل احترام وتبجيل على شرط وعد شرف أن لا يعترض في رسائله إلى الحديث عن حركات الأمير العسكرية[2].

ولتفادي أي اعتداء على سجناء الفرنسيين، قام الأمير بإصدار مرسوم وطني حول طريقة التعامل معهم، لهذا استدعى المجلس الشورى في دورة استثنائية والمتكونة من كل إطارات الدولة وقام بتبرير إصداره لهذا المرسوم، مذكرا إياهم بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم، لمَّا عاتب زوج ابنته علي كرم الله وجهه بحجة أنه لم يحسن معاملة السجناء، وعليه فإن الأمير يقضي بحسن معاملة الأسرى ومن لا يحسن المعاملة يعاقب بشدة[3] وكانت غايته من ذلك أن تكون المعاملة وفق تطبيق قانون الأسرى إلى أن تحين مبادلتهم فتكون الاستفادة هامة. [4] وبذلك كان يكافئ كل من يحضر جنديا فرنسيا على قيد حياة ولكن قبل أن ينال الجائزة فهو مسؤول عن سلامته وعن الطريقة التي يعامله بها، وينبغي أن يسلمه إلى الدولة في أقرب وقت ممكن مسالما متعافيا وإلا ينال عقابا شديدا [5]، ويعاقب كل من يأتي برأس أسير بالجلد على رؤوس الأشهاد[6].

وكدليل على هذا الأمر، عين الأمير أحد جنوده الذي أتاه برأس أسير ليخلق من الحادثة العبرة، وليثبت خطأ الجندي ويبرر عقوبته، ومن أهم هذه الأسئلة " ***أين كانت***

---

[1] سعيد بن عبد الله، المرجع السابق، ص145.

[2] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص53-54.

[3] سعيد بن عبد الله، المرجع السابق، ص146.

[4] علي عزوزي، «الأمير عبد القادر والأسرى»، **ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية**، صدر عن مؤسسة الامير عبد القادر، الجزائر، 2011، ص194.

[5] سعيد بن عبد الله، المرجع السابق، ص146.

[6] محمد علاق، المرجع السابق، ص115.

بندقيتك عندما كنت تقطع رأس الأسير؟ وكيف تستطيع حمل الرأس وتكون في وضع تتمكن فيه من استعمال بندقيتك عند اللزوم" [1].

معاملة المرأة الأسيرة:

كان الأمير أشد كراهية عنده أن يرى الأسرى من النساء ويضطرب عند تصوره وقوعهن فرائس الحرب [2]، ولهذا كان يوصي فرسانه ويقودهم في الهجوم:" ***بأن لا يتعرضوا للحريم، أما أولئك الكلاب فعاملوهم بما يستحقون***[3]. وفي أحد المرات جاء إليه أحد أعوانه بأربعة من النساء أسرى فأدار وجهه وقال له وهو مشمئزا: "***الأسد ينقض على الحيوانات القوية، أما أبناء آوى فتنقض على الضعيفة منها***" فأعادهن مكرمات[4].

وكانت مسؤولية العناية بالأسيرات موجهة لوالدة الأمير كما ذكرنا سابقا لما كان لها من عمل المرحمة ولطف المعاملة والشفقة عليهن، فقد اعتنت بهن إعتناءً أنساهن ما هن فيه وجعلت خيمتهن ملاصقة لخيمتها، وعينت إثنين من حراسها حرصا عليهن، وكل صباح ترسل إليهن القهوة والشاي والسكر والزبدة، واللحم وكافة ما تدعوهن إليه حاجتهن[5].

وكان الأمير يستقبل الأسرى استقبلا مسؤولا ليقتادوا بعد ذلك إلى مقر أقرب خليفة بغرض الفحص. ويجرى لهم بعد ذلك استجوابا بخصوص الكتيبة التي كانوا فيها وعن

---

[1] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص95.

[2] جواد المرابط، **التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري**، الطباعة الشعبية للجيش الجزائري، 2007، ص43.

[3] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص203.

[4] علي عزوزي، المرجع السابق، ص196.

[5] جواد المرابط، المرجع السابق، 42.

تاريخ أسرهم، وعن المعاملة التي قوبلوا بها، ليرسلوا إلى مراكز خاصة باستقبال الأسرى حيث يتوفر الأمان والمعاملة الخاصة من الأمير[1].

وقد وصف أحد الأسرى، معاملة الأمير، مبينا تواضعه مع الأسرى قائلا: "***عندما مررت بالسلطان حياني بجلال فريد، وابتسامة مدهشة، وأشار إلي بيده للجلوس ثم سألني رأيي في بناء تحصينات، فأجبته بأنها تظهر لي جيدة... ويبدو أنه قد سُرَّ كثيرا من جوابي***"[2].

تدل هذه الشهادة على حرية تنقل الأسرى في معسكر، وهذا ما أدي بالحكومة السماح للأسرى بالخروج، والتجول وقد أكده بالفعل" اسكوت" حين قال:"***في مدينة، حيث أنه لا يوجد أي خطر، بإمكان هروبهم فلو هرب لكان ذلك معناه الموت المحقق***»[3].

ويؤكد محمد بن عبد القادر في كتابه تحفة الزائر أن أأْمن مكان للأمير هو معسكر حيث يتمتع بحماية تامة إلى أن يحين موعد تبادل الأسرى وأن خارج المعسكر لا يضمن التطبيق الكامل لأوامره، وتحريمه لقطع رؤوس الأسرى وتجاوز ذلك مرده إلى الوحشية التي تأتي بها الحملات الفرنسية فتنتشر بذلك روح الانتقام من أي فرنسي حتى وإن كان أسيرا تائها [4] كما أخفى الفرنسيون رحمة الأمير بالأسرى لدرجة أن أحد القادة قال:

"***ينبغي لنا أن نخفي هذا الأمر ونكتمه عن العسكر لأنهم إن علموا به لا يأتي لنا أن نحارب عبد القادر***".

---

[1] محمد علاق، المرجع السابق، ص ص105-106.

[2] إسكوت الكولونال، المصدر السابق، ص67.

[3] هنري تشرشال، المصدر السابق، 189.

[4] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص467.

ويؤكد لنا اسكوت أنّ كل التقارير التي كان يكتبها الفرنسيين عن الأسرى هي تقارير مزيفة تزعم أن الأسرى لا يلقون أية عناية، وإن هذه الأقوال مخالفة للحقيقة تماما، [1] وهذا ما يؤكده أحد الباحثين في تاريخه " أن الأمير كان في صورة عدّو كريم الأخلاق"، فإن كل من كان أسيرا في قبضة يدّه من الفرنسين قد أثنى عليه الثناء الجميل وكان يأمر بإعفائهم من الخدمة يوم الأحد ملاحظا في ذلك اعتباره يوم عطلة للديانة المسيحية، مع أن الفرنسيين لم يلاحظوا اعتبار يوم الأحد بل هو عندهم كسائر الأيام[2].

فعلا فقد كان الأمير عبد القادر قدوة في المعاملات الإنسانية، ولم يتردد يوما عن مساعدة الضعفاء لأنه كان يعتبر تعاليم الإسلام التي تشبع بها ومارسها مبادئ التسامح والمحبة والتفتح، فكان يطبق حرفيا تعاليم القرآن مصداقا لقوله في الآية الكريمة:﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا**﴾[3].

ولأسباب إنسانية محضة، كان الأمير يطلق سراح بعض السجناء دون قيد أو شرط، وهذا ما صرح به الماريشال آرنوا لأهله بأن "***الأمير عبد القادر قد أرسل مجموعة من الأسرى الفرنسيين بدون أن يفرض أي شرط أو قيد، فقال لهم، ليس لدى شيء أطعمكم به ولا أريد أن أقتلكم، لهذا أرسلكم***" [4] وهذا ما يدل على تمسك الأمير بالأخلاقيات

---

[1] الكولونيل اسكوت، المصدر السابق، ص67.

[2] جواد المرابط، المرجع السابق، ص43.

[3] سورة الانسان، الآية رقم، (7-8).

[4] سعيد بن عبد الله، المرجع السابق، ص147.

الفاضلة التي تعتبر نموذجا للسلوك الروحي. كما يشهد العديد من الأسرى ويصرحون بصريح العبارة" ***أن الأمير عبد القادر قد عاملهم بشهامة وإنسانية***" [1].

كما تظهر العديد من المعاملات الأخلاقية للأمير في عدة مواقف، وكدليل على إنسانيته ورحمته أنه أثناء تنفيذ حكم الإعدام على أحد الخونة، ارتمت طفلة صغيرة أمام رجليه وطلبت منه أن يعفوا عن والدها قائلة: «***سيدي لا تجعل مني طفلة يتيمة***» فلم يتمالك نفسه ولاحظ الحاضرون دمعة تسيل على خده وهو ينظر إلى الخائن، فخفض عينيه وأمر قائلا: "***فليعطه أحدكم جوادا ليبتعد من هنا***"[2].

كما تظهر أخلاقه العالية واحترامه للروح الإنسانية عندما طلب سوشيه والذي هو أحد القساوسة الكبار إذن الأمير بأن يرسل الأسقف أحد القساوسة لأي مجموعة فرنسية تقع في الأسر لكي يرعاهم، فسمح له الأمير بذلك. وهذا ما جعل سوشيه يكتب ردا إلى الاسقف أنطوان في العاصمة بتاريخ صباح الجمعة الموافق لـــ29 ربيع لثاني عام 1257 هـــ يفيض أخلاقا عالية للأمير واحتراما لكل ما قدمه من إنسانية اتجاهه[3].

تبادل الأسرى:

من عناية الأمير عبد القادر بالأسرى وسعيه دوما للتقليل ما أمكن من معاناتهم، حرصه على القيام بعملية تبادل الأسرى من الطرف الفرنسي، في إطار القواعد المتعارف عليها، فكان يطلب ذلك من السلطات الفرنسية، ولكنها كانت تغض الطرف وتتباطأ في الاستجابة، من باب التكبر والتظاهر بالعظمة، وإشعار الأمير بعدم التعامل معه كطرف

---

[1] علي عيسى، " لأخلاقيات القتالية عند الأمير عبد القادر"، **مجلة الأصالة**، مج 08، ع 23، (1973)، طبع بالمؤسسة الوطنية، الجزائر، 2012، ص40.

[2] سعيد بن عبد الله، المرجع السابق، ص146.

[3] علي عيسى، المرجع السابق، ص40.

مكافئ[1]، حتى لا تنتشر الدعاية من الأسرى أمام الفرنسيين، أن الأمير كان يحسن معاملتهم، إلى حين مراسلة أسقف الجزائر دوباش[2] يسأله إطلاق سراح أسير واحد من أقربائه مؤكدا في كلامه أنه" ***ليس لي ما أفديه به، بل أقابلك(أعوضك) بالدعاء والثناء واعتراف بالجميل، والراحمون يرحمهم الله***"[3].

فأجاب الأمير على رسالة الأسقف كان مضمونها أن شعار الأخوة وخدمة الله وخدمة البشر الذي حمله القس يفرض عليه أن لا يطلب من الأمير حرية فرد، بل المحاولة لطلب حرية كل الأسرى المسيحيين وأن تكون المهمة متبادلة بقوله:" ***وإذا أنت لم ترضي بالحصول على نعمة الحرية لمائتين أو ثلاث مائة مسيحي فقط ولكن تسعى للحصول عليها أيضا بطريقة متساوية لأولئك الذين مازالوا يعانون في سجونهم***"[4].

وتجسيدا لمشاعره الإنسانية واحترام الأمير لهذه الرغبة قال " ***إن أسراكم سيطلق سراحهم على الفور اليوم، وسنحضرهم من وهران حيث إحتجزناهم***" مما يؤكد على تمسك الأمير بأخلاقياته القتالية، ويهب لنا نموذجا هاما للسلوك الحربي،[5] لكن بشرط أن يكون ذلك التبادل عام للسجناء، والذي يبلغ عددهم 130 أسيرا جزائريا، بينهم 34 رجلا و48 إمرة و39 طفلا مقابل 80 أسيرا فرنسيا، وقد عين الأمير محمد بن علال خليفته في مليانة لحل هذه المسألة فاتفقا على أن يكون لقاء الطرفين بالأسرى في مزرعة موزايا

---

[1] علي عزوزي، المرجع السابق، ص198.

[2] دوباش، هو أنتوني أدولف دويش، أسقف الجزائر منذ 25أوت 1838 إلى 1846، بنَّى حوالي 60 كنيسة ومعبدا، و16 مؤسسة دينية وملجأ الأيتام وأقام حلقة درس، لكن قصر الأمير عزيزة نتيجة إسرافه في المشاريع الدينية، أفلس واستقال وسجن ثم فرَّ إلى إيطاليا وإسبانيا إلى أن قررت حكومة نابليون دفع ديونه عام 1952 بواسطة أسقف بوردو، أنظر: محمد علاق، المرجع السابق، ص109.

[3] جواد المرابط، المرجع السابق، 43.

[4] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص289.

[5] محمد علاق، المرجع السابق، ص110.

نهار الثلاثاء 17 ماي 1841[1]، لكن اللقاء فشل بسبب علم خليفة الأمير بأن الجنرال "براغي دليه" قد توجه لمكان اللقاء مما دفع به إلى الانسحاب بمسافة 15 كلم إلى الوراء مما جعل الراهبان سوشيه ودافرنشيان لإقناعه بعدم خطورة الأمر.[2]وبالفعل وقع تبادل الأسرى دون صعوبات في منطقة سيدي خليفة بالقرب من بوفاريك في 21 ماي 1841، وذلك للمرة الأولى والوحيدة في تاريخ علاقات عبد القادر بالمسؤولين الفرنسيين[3].

قضية أسرى سيدي براهيم:

تعود خلفيات هذه الحادثة إلى وقوع مجموعة من الجنود الفرنسيين في الأسر لدى الأمير عقب معركة سيدي براهيم في 23 و25 أفريل 1846، بعد انضمام مجموعتين من الأسرى لها وقد عرفوا بأسرى مجموعتي مونتانياك[4] وماران، وقد بلغ عددهم 300 أسيرا وعلى رأسهم 3 ضباط و10 ضباط صف، سلموا لاين عراش بتاريخ وصولهم للدائرة في 26 سبتمبر، والذي أحال بدوره مسؤولية حراستهم لكتيبة الحاج سالم.[5]

وفي 19 نوفمبر تسلم البوحميدي الدائرة وزار معسكر الأسرى الفرنسيين لتفقدهم وتكلم مع قائدهم داكونيور مؤكدا له سعيه لإطلاق سراحهم بمجرد موافقة الجنرالات الفرنسيين على مبادلتهم. أثناء هذه الفترة غيرت الدائرة مكانها بسبب معلومات وصلت

---

(1) أديب حرب، **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر**، ج2، المرجع السابق، ص ص552-553.

(2) هنري تشرشل، المصدر السابق، ص201.

(3) أديب حرب، المرجع السابق، ص553.

(4) نسبة إلى القائد مونتانياك المولود في برلين بتاريخ 17 ديسمبر 1773، تطوع في الجيش في سبتمبر 1892، حارب في اسبانيا برتبة عميد من سنة (1809ـــ1811)، أحيل على التقاعد في 12فيفري 1834 وعاد للخيمة في 20مارس 1834، أرسل الى الجزائر كحاكم في 1ديسمبر 1887 في 29جانفي 1841، قاد القوات في عدة معارك ضد قوات المقاومة الشعبية بقيادة الامير عبد القادر منها مقاومة غابة كرازة بتاريخ 27 أفريل 1840 ومعركة موزايا والزيتون في 20 ماي 1840. انظر: أديب حرب، المرجع السابق، ص 505.

(5) محمد علاق، المرجع السابق، ص111.

البوحميدي بأن الجنرال كافينْياك[1] يخطط لمهاجمتها وإطلاق سراح الأسرى، بالإضافة إلى تسجيل محاولات عديدة لفرار الأسرى وصلت إلى حد حكم البوحميدي على الفارين منها بالإعدام، ثم عاد وعفى عنهم إثر تدخل المقدم داكونيور وذلك نظرا لوصايا الأمير بحسن معاملة الأسرى.[2]

وفي 10 أفريل 1946 قدم إلى الدائرة محمد البركاني ومصطفى بن التهامي الواقعة في حاسي بركات ليتسلم هذا الأخير مكان البوحميدي بعد أربعة أيام من وصوله، ليكون مسؤولا عن إدارة شؤون الدائرة.

وعقد عدة اجتماعات مع البوحميدي قبل مغادرته والذي كان يخالفه الرأي حول إجراءاته المستقبلية المتعلقة بالأسرى، وبعد مدّة وصلت أخبار للضباط الفرنسيين بأن جنودهم قتلوا يوم 18ماي، عندما وصلوا إلى أعالي ملوية[3]وهذه الحادثة الخطيرة أسالت الكثير من الحبر، لأنها تعلقت بمعاملة جديدة للأسرى، ما كان عبد القادر يتعامل بها[4].

ويرجع جميع المؤلفين مسؤولية مصير هؤلاء الأسرى لمصطفى بن التهامي الذي تأثر بعده عوامل جعلته يقدم على عملية القتل والإعدام وذلك لسببين هما:

- **مشكلة التغذية:** والتي بدأت تشكل عائق لتسيير الأمور في الدائرة سيرا حسنا، لقلة المؤن في مخازنها ولصعوبة الحصول عليها من المناطق المجاورة.

---

[1] هو قائد فرع فرقة تلمسان، ودبلوماسيا من طرف المغرب ومدعوا باستمرار لتنفيذ معاهدة طنجة، أنظر، أليكس بليمار، المرجع السابق، ص233.

[2] أديب حرب، المرجع السابق ص556.

[3] هي واد صغير بالمغرب يوجد على بعد اثني عشر فرسخا من حدودنا، أنظر أليكس بليمار، المرجع السابق، ص 232.

[4] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص293.

- **مشكلة الحراسة:** فقد أوكلت حراسة الأسرى الفرنسيين والذين عددهم 3000 إلى كتيبة الحاج سالم النظامية المؤلفة من خمس مئة عنصر لكن ابن التهامي شعر بأن الدائرة ملاحقة عن كثب من جميع الجهات. فالقوات المغربية منعت كل من يؤيد الأمير بالبقاء في المغرب، وتعقبت رجاله جاهدة العثور على آخر معاقله لإطلاق سراح الأسرى بالقوة[1] مما أدى بابن التهامي من التخوف من ذلك خاصة بعد أن غادرت قبيلة بني عامر المنطقة متوجهة إلى فاس، مما أدى به إلى خسارة المشاة الذين كانوا يؤمنون له حراسة معسكر الأسرى، فظن أن قتل الأسرى يؤخر خروج العرب منها بتخويفهم رغم توصيات الأمير بحسن معاملة الأسرى[2].

وبعد علم الأمير بمقتل الأسرى الفرنسيين أسَّف لذلك ووبخ خليفته الذي نفذ القتل في غيابه ودون مشورته محاولا تهدئة الأمور آخذا في ذلك أحكام الدين الإسلامي، فأمر بإطلاق عشرة ضباط فرنسيين أسرى وأرسل رسالة معهم إلى ملك فرنسا[3]قال فيها:" ***لقد شاع في غيابي أن الفرنسيين عازمون على تحرير أسراهم بالقوة من ايدي العرب، ثم شاع بين الناس أن سلطان مراكش عازم على إنقاذهم من يد خليفتنا رغما عنه، فكان هذا من سوء سلوك نوابكم سببا لما وقع بالأسرى من غير إذن منا ولا علم لنا*** "، والآن وقد أطلقنا سراح عشرة ضباط مع الرئيس " كورلي ديك وكوفري" وهم يعلمون بما أجريناه، ثم سلمهم في أكتوبر 1846 وبدون أي مقابل مادي أو مالي[4].

---

[1] أديب حرب، المرجع السابق، ص564.

[2] محمد علاق، المرجع السابق، ص112.

[3] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص255.

[4] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص464.

فقد استطاع الأمير من خلال هذه الرسالة تبرئة نفسه من هذا الحادث الفظيع الذي لم يحضره وما كان ليأذن به أبدا، بالإضافة إلى أقوال وشهادات بعض القادة والضباط الذين بقوا على قيد الحياة في أخلاق الأمير وتسامحه في العديد من المواقف.

فقد كان الأمير عبد القادر قدوة في تطبيقه لتعاليم الدين الإسلامي في كل الجوانب خاصة فيما يخص هذا الباب والذي هو تبادله الأسرى معتمدا على ما جاء في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿**فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**﴾[1] فقام بمبدأ إحترام الإنسان خلال عمليات المبادلة، وما قضية مقتل مجموعة كبيرة من الأسرى الفرنسيين قرب الحدود المغربية إلا مثال عن تهاون الفرنسيين وتباطئهم في تسوية مشكل الأسرى بتبادلهم.

[1] سورة محمد، الآية رقم (04)

الفصل الثالث

الجوانب الروحية للأمير عبد القادر

في المجال الاجتماعي

المبحث الأول: البعد الروحي للأمير في المؤسسات الثقافية

رغم تدهور الوضع الثقافي الناتج من جراء الحرب في الجزائر حاول الامير عبد القادر تنشيط الساحة الفنية في دولته فقدم فيها أعمال مثمرة في جميع الميادين خاصة الجانب الثقافي والعلمي محاولا ربطه بالجانب الديني، مقارنة مع الفترة القصيرة لدولته، حيث تناولت مصادر التاريخ الانجازات التي حققتها دولته لكونه رجل عمل على نشر العلم وبث أصناف المعرفة بين الناس من خلال اهتمامه بالعلم والدين خاصة بعد أن خيم الجهل داخل المجتمع وإدراكه أن القوة وحدها عاجزة على تبليغ رسالته الاصلاحية والروحية الانسانية ولذلك لم يغفل عن اهتمامه بالمؤسسات الثقافية والتعليمية من مساجد وزوايا ومعاهد في أقطار البلاد من خلال إعداد جيل واعي مثقف ومتشبع بمبادئه الإسلامية، ولترسيخ معالم الدولة الاسلامية الحديثة .

المطلب الأول: المساجد

شجع الامير طلب العلم من خلال المساجد مقتديا في ذلك بتشجيع الاسلام للعلم والعلماء من خلال القرآن الكريم، ويتضح هذا في أول آية في القرآن الكريم هي: " اقرا " وفي حثه على القراءة وتشجيع العلماء في قوله:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾[1]، وذلك من أجل نضوج إنسان واع بتعاليم الدين الاسلامي ، فتكون سريرته صافية بعيدة عن الجهل والحمية العصبية. [2]

فكان الأمير يعتبر المسجد مكان مقدسا حيث لا تقاس عظمته بعمارته بل بتجمع الناس بخشوعهم في الصلاة التي هي عماد الدين أو من أجل التكوين الديني والثقافي،

---

[1] سورة المجادلة، الآية رقم (11).

[2] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 120.

وذلك لما تنص عليه وتبينه الآيات في القرآن الكريم لعظمة وقدسية المسجد في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[2] وقوله أيضا :﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ﴾[3]، وقوله عز وجل : ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[4].

عمل الأمير على إقامة أقسام لحفظ القران الكريم في المساجد، وتخصيص جانب للنساء و آخر للرجال، وإقامة دروس ثقافية لغرض تعليم أمور الدين والدنيا ومعرفة الأحكام الخاصة بمختلف القضايا وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد[5]، ولا عجب في اقتداء الأمير بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يعتبر النموذج الأول للعمارة الاسلامية، والذي أنشأه أثناء هجرته إلى المدينة في السنة الاولى للهجرة (622 م) بالإضافة إلى الدور الديني الذي لعبه مسجد الرسول في نشر الوعي الديني وذلك بإلقاء الخطب الخاصة يوم الجمعة وكذا الحلقات التي تقوم في كل مجال من مجالات العلوم الدينية ابتداء من التفسير إلى الحديث والفقه والتركيز على أهمية وحدة الجماعة.

---

[1] سورة الإسراء، الآية رقم (01).

[2] سورة التوبة، الآية رقم (108).

[3] سورة التوبة، الآية رقم (19).

[4] سورة الجن، الآية رقم (18).

[5] يحي بوعزيز، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، منشورات ENEP، الجزائر، 2011، ص 216.

فحث الأمير عبد القادر في العديد من الخطب الثقافية على ضرورة بناء أمة مثقفة بتعاليم الثقافة مبدأها الأول هو الدين من أجل تبليغ رسالته الاصلاحية والإنسانية وأشار في ذلك لأحد خطب الرسول صلى الله عليه وسلم وحثه على ضرورة العلم وتشجيعه في كثير من لأحاديث مثل قوله عليه الصلاة والسلام :" ***من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الي الجنة وعنى الملائكة لتصنع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من السماء والأرض حتى الحيتان في الماء وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب***" [1].

لم يغفل الامير على اهتمامه بالمؤسسات الثقافية والتعليمية خاصة المساجد المنتشرة في البلاد من أجل إعداد جيل واعي مثقف ومتشبع بمبادئه الاسلامية، ولعل من أهم المؤسسات التي ورثها الامير عن السلطة العثمانية في تلك الفترة[2]، نجد:

مسجد سيدي حسن : بعين البيضاء المتواجد في مدينة معسكر والذي شيد من طرف الباي محمد بن عثمان عام 1781 م والمعروف بمسجد المبايعة لمبايعة زعماء القبائل الأمير عبد القادر عام 1832 م أميرا للجهاد والمقاومة، حيث عنى به الأمير عناية كبيرة فقام بزخرفته بآيات قرآنية من الذكر الحكيم ونقوش كما رتب له إماما خطيبا وأربعة مدرسين وخصص أحدهم لتدريس علوم الشريعة والتفسير والحديث، وجمع فيه طائفة من حفظة القرآن الكريم يتلونه ويدرسونه أناء الليل وأطراف النهار، وعمّر وظائف المسجد والمدرسة بمن كان كفأ للوظيفة إذ شهد نقله مهمة في مسيرته من أجل احياء تعاليم الدين الإسلامي.

---

[1] عبد القادر بن حامد، **مكتبات المساجد في حواضر شمال الغرب الجزائري وأثرها الثقافي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2008-2009 ص 21.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 217.

وقد مثل هذا المسجد العتيق معلما إسلاميا هاما شارك في مسيرة الحياة الثقافية عهد الأمير عبد القادر واستمر في تأدية رسالته الدينية والتربوية والثقافية إلى أن تم نقض معاهدة تافنة من طرف الإستعمار الفرنسي 1839[1].

الجامع الكبير: يقع بقلب مدينة معسكر إلى القرب من مسجد المبايعة، وتم تشييده في الفاتح من محرم عام 1117 ه، أمر ببنائه الباي الحاج عثمان بن إبراهيم الذي تولى بايلك الغرب[2]، وقد قام الأمير بإدخال بعض التعديلات عليه أثناء فترة عهده، فقام بتغيير إسمه فبدلا من أن كان يلقب بالجامع الكبير أو الأعظم أصبح يطلق عليه اسم جامع مصطفى بن التهامي لما يحظى به من مكانة علمية وسيرة ذاتية، كما قام بتوصيلة بالإنارة لكثرة السواري فيه مما يخلق نوعا من الظلمة على أرجاء مكان المسجد، كما قام بترميم منارته التي تميزه على جميع المنارات الأخرى، ولكي يجمع المسجد بين الجانب الديني والجانب الفكري زوده بمكتبة احتوت على كتب دينية علمية من أجل إشباع روح الطلاب والمطلعين عليها بكل ما هو ثقافي علمي وكذا ديني[3]، فضلا عن عدة مهام أخرى عمل الأمير على تثبيتها في هذا المسجد والمتمثلة في:

- رسم الدور التربوي والتعليمي لهذا المسجد حيث جعل منه رائدا في ميدان الوعظ والإرشاد الديني.
- يقوم بدروس أو حلقات لحفظ القران للكبار والصغار.
- إلقاء الدروس الأسبوعية، مفادها تثقيف المصلي ثقافة دينية محصنه، وذلك من أجل مجابهة الواقع الصعب.

---

[1] عبد القادر بن حامد، المرجع السابق، ص 48.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 209.

[3] عبد القادر بن حامد، المرجع السابق، ص ص 48-49.

- تكوين الفرد الناشئ على حب الله ومزاولة لأداء شعائره الدينية[1].

مسجد العباد: ويرجع تاريخ تشييد هذا المسجد الي العهد المريني 759 ه/1339 م وقد جدد الأمير عبد القادر منبره ونقشت عليه أسماء الله الحسنى، بالإضافة الي مجموعة أخرى من المساجد المتواجدة آنذاك من بينها مسجد إبراهيم المصمودي، مسجد أولاد الامام، مسجد سيدي زكريا، مسجد سيدي إبراهيم بن عبد الله الشريف، سيدي عبد الله بن منصور، ومسجد سيدي الحسن الراشدي[2].

كما وجدت بمدينة تلمسان وحدها خمسون مسجدا بين الكبير والصغير، وهذا ما يدل على أن الهياكل الثقافية كانت منتشرة وتحتل المقام الاول في دولة الأمير التي أولى العناية بها[3].

استطاع الامير عبد القادر أن يقوم بتنوير عقول الأجيال الجزائرية وفي إثراء الحياة الفكرية والثقافية بشكل واسع، من خلال المسجد الذي يعتبره بمثابة المعلم وذلك بنشر الوعي الفكري والثقافي ولتؤدي أيضا الى توصيل الرسالة الدينية والأخلاقية.

المطلب الثاني: الزوايا

إلى جانب الدور الثقافي والديني التي قامت به المساجد، لازمها أيضا كل من الزوايا والمعاهد، ففي فترة عهد الأمير نالت الزوايا أيضا مكانة مرموقة لانتشارها الواسع فساعدها في ذلك تواجد عائلات مشهورة توارثت الوظائف الدينية والعلمية من بينها أسرة ابن التهامي التي أولت عناية خاصة لتأسيسها للزوايا والمعاهد العلمية[4].

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 217.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 103.

[3] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 139.

[4] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 449.

لقد قام الجانب الديني بدور كبير في تنشيط ميادين الحياة في دولة الأمير عبد القادر خاصة منها الميدان الديني والثقافي، وإذ ما علمنا أن الزاوية هي أحد روافد النشاط الديني في دولته حيث كانت ذي مرجعية دينية للعديد من الأعلام والقادة، فقد عملنا في هذه الدراسة على تخصيص جانبا يتناول الزاوية من حيث أنها مرجعية دينية ثقافية عملت على إحياء وتنشيط الثقافة الدينية في دولة الأمير، لذلك عملنا على أخذ نموذج محاولين دراسته من جميع جوانبه ألا وهو:

الزاوية القادرية: وتعد الزاوية القادرية المتواجدة في القيطنة من أقدم الزوايا وأهمها، التي أسسها الشيخ مصطفى المختار الغريسي[1] بتأسيسها سنة 1785 م، و تولى من بعده ابنه الشيخ محي الدين الإشراف على تسيير شؤونها، إذ كان من أهل العلم والعلم والصلاح، فكان خير خلف لخير سلف حيث انتصب بها للتدريس، فكثر نشاطها وازداد عدد موريديها فأصبح للزاوية في عهده نشاط كبير حيث أصبحت ملتقى للزائرين ومقصد الفقراء والمعوزين وعابري السبيل[2]، كما كان جد الأمير شيخا للطريقة ورثه عن طريق الشيخ الأكبر محي الدين وأجازه فيها المحدث الصوفي محمد المرتضى الزبيدي (1205 ه/ 1791) [3] ، وانتقلت بعده الوراثة الروحية لابنه محي الدين الذي قاوم سياسة الظلم والقسوة ضد من عارض هذه الطريقة ومبادئها تطبيقا لتعاليم القادرية التي أخذها من والده لتنتقل القيادة الروحية لابنه عبد القادر من بعده قبل وفاة أبيه محي الدين (1247ه/ 1832 م) الذي كان مؤهلا لهذا المنصب بفضل تكوينه الديني الذي تلقاه فيها[4]، حيث كان يشتغل أباه مقدما فيها، وقد خصص لها الأمير جزء كبير من وقته حيث مزج بين العلوم الدينية

---

[1] هو جد الأمير عبد القادر،أخذ القادرية على الشيخ عبد القادر المشرفي حين زار بغداد في طريق الحج، توفي سنة (1212ه/ 1797م) عند عودته من حجته الرابعة ببرقة ودفن بعين غزالة .أنظر: يحي بوعزيز،اعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، المرجع السابق، ص224.

[2] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 53.

[3] نفسه، ص 54.

[4] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 501.

والدنيوية، وركز على العمل الديني والعلمي داخلها، وعمل على إبراز دورها ووظيفها في المجال الثقافي بكل فروعه على نحو ديني، كما عمل أيضا على ترسيخ مبادئ وقيم عربية إسلامية في نفوس الامة، خاصة وان دور الزاويا لم يقتصر على الجانب الإنساني فقط المتمثل في إيواء وإطعام عابري السبيل وحتى جمع الأموال وإنما تعدًى دورها إلى أرقى من ذلك حيث حافظ على الإرث الإسلامي التقليدي ونشر هذه المبادئ والتعاليم وغرس الروح الإسلامية[1]، كما عمل على تحفيظ القرآن الكريم باعتباره المكمل للشخصية الإسلامية والمصحح للفكر والمطهر للعقول من الأفكار الضالة المنتشرة في تلك الفترة والمقًوم والمعدل للأخلاق.

إضافة إلى ذلك قام بنشر أفكار الطريقة القادرية التي اعتبرت آنذاك القوة الفاعلة في الريف والمعبر الحقيقي عن الروح الوطنية التي لطالما أجهد نفسه على غرسها وتعميقها في نفوس أمته، كما عمل على مضاعفة دورها وأهميتها وتعدد وظائفها باعتبارها مركزا متعدد المجالات ومعهدا للتعليم القرآني والديني، فأصبحت عبارة على مركزا لتبادل الأفكار والإشعاع والنشاط الفكري لذلك الإنتاج الذي كان مقتصرا على التكوين لترجمة الشخصيات الدينية، كما طور دورها المتجلي في محو الفوارق الطبقية المتعددة السائدة في المجتمع آنذاك من خلال نصه على ما جاء به الدين الاسلامي وسعى جاهدا إلى الإرشاد الأخلاقي والتوجيه الروحي المساند له، مما أدى إلى تعميق الانتماء والأخوة الإسلامية بين قبائل الريف الجزائري.

[1] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 49.

ساهم الأمير عبد القادر في إحياء العلوم العقلية والعلمية ودفع عجلة التعليم والتربية معا على أساس ديني من أجل مجتمع إيجابي ومعزز بمبادئ الدين الاسلامي ومحافظا على مقومات اللغة العربية ومرسخًا لقواعدها[1].

استطاع الامير على أساس ديني أن يحقق الهدف المبتغى المرجو بلوغه والوصول إليه والمتمثل في إبراز المرجعية الروحية التي تبناها من خلال بيئته الدينية والعلمية وتأثره بالعديد من الطرائق بتنفيذه للمشروع الديني على أساس الشريعة الاسلامية في ذلك، وبث السلطة الروحية في أوساط الأمة.

كما نجد من فروع الزاوية القادرية التي بلغ عددها 29 زاوية بـــ 268 مقدم [2]، منها زاوية ابن الأحول المتواجدة في مدينتي معسكر وغليزان والتي أسست قبل حلول الأتراك بالجزائر، أسسها الشيخ ابن الأحول إلا أنها نشطت فترة عهد الأمير، وضمت هذه الزاوية مدرستان إحداهما خصصت للقرآن الكريم والثانية لتعليم مبادئ العلوم الدينية العربية، بالإضافة إلى زاوية الحاج الحسن الحبيب بن عمر الذي تولى القضاء للأمير أنذاك [3].

كذلك لا ننسى مجموعة من الزوايا التي لعبت دور وساهمت في الحفاظ على المقومات العربية وإحياء التراث الاسلامي من بينها زاوية عين الحوت، زاوية سيدي الشيخ بالبيض زاوية أولاد سيدي عمار بن دونة[4].

اهتم الأمير بهذا الجانب من المؤسسات الثقافية نظرا للدور الديني الذي كانت تؤديه فكان لها دور كبير في إلقاء الدروس فيها من أجل التفقه في أمور الدين إبتداءًا من تفسير

---

[1] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 501.

[2] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 55.

[3] عبد القادر بن حامد، المرجع السابق، ص 50.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 269.

القرآن الكريم إلى السنة النبوية الصحيحة كما عمل على أن تقوم هذه الزوايا بترقية المعرفة الانسانية والدين الاسلامي والمساهمة في الحفاظ على التراث الفكري والثقافي، فقد حاول من أن تكون لهذه الزوايا ازدواجية مشتركة من الجانب الديني إلى الجانب الثقافي وتكون مركز للإشعاع الثقافي [1].

وإلى جانب هذا العمل الذي لعبته الزوايا عمل الأمير عبد القادر على إيجاد نمط آخر من المؤسسات الثقافية كان لها دور كبير في تنشيط المحور الثقافي في دولته ويشير في ذلك إلى المعاهد والزوايا المتخصصة في مساهمة دمج العمل الثقافي بالجانب الديني، حيث عمل الأمير عام 1845 على تجديد معهد علمي في مدينة مازونة، وعند إفتتاحه ألقى الأمير كلمته ولم يتجاهل فيها مؤسس ذلك المعهد وذكره بكل إحترام وتقدير وهو الداي محمد بكداش [2].

المبحث الثاني: البعد الروحي للأمير في الجانب التعليمي

لم يكن اهتمام الأمير بالعلم والتعليم في الزوايا محصورا في شخصه أو ذويه فحسب بل أراد أن يوجه هذا الاهتمام لجميع أفراد الأمة الجزائرية فاجتهد في وضع أسس نظام تعليمي هدفه المحافظة على وحدة الثقافة العربية الاسلامية وتماسكها بالمحافظة على تراث الجزائريين وتغذيتها في حركة الكفاح ضد الاستعمار[3].

---

[1] عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص 104.

[2] بديعة الحسني الجزائري، حقائق ووثائق، المرجع السابق، ص43.

[3] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص 191.

فكان من بين اهتماماته إنشاء نظام للتعليم العام بين القبائل جميعا وأصبح لأول مرة مهمة حكومية [1]، فقد رتب الأمير في سائر المدن والقرى علماء لتدريس فنون العلم المختلفة وأمر بطلب العلم وذلك من خلال عدة محطات.

المطلب الأول: بناء المدارس

حظى المجال التعليمي ببالغ الاهتمام من طرف الأمير الذي أسس مدارس في مختلف قرى إمارته، وأوكل مهمة التدريس فيها إلى العلماء وحدّد لهم جرايات (مكافآت) وأعفاهم من الضرائب، وكان التعليم في هذه المدارس يقوم أساسا على تحصيل العلوم الدينية، واللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، وذلك على حساب العلوم الحديثة[2]، وفي هذا الشأن يقول الأمير عبد القادر: ***" كان من واجبي كحاكم مسلم أن أدعّم علوم الدين وأن أبعثها لذلك فتحت المدارس في المدن وبين القبائل وفي هذه المدارس كان الأطفال يتعلمون الصلوات ويحفظون تعاليم القرآن وفروضه ويعرفون جيدا القراءة والكتابة والحساب" [3].***

ويذكر مرسيل (إيميريت) أنه كان يوجد في تلمسان وحدها خمسون مدرسة ابتدائية ومعهدان كبيران للتعليم الثانوي والعالي هما: مدرسة "الجامع الأعظم" ومدرسة أولاد الامام"[4] وكما كان الأمير يفكر في بناء جامعة في تاقدامت غير أن الوقت لم يسعفه

---

[1] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص191.

[2] علي المحجوبي، **العالم العربي الحديث والمعاصر (تخلف فاستعمار فمقاومة)**، دار محمد علي للنشر، بيروت 2009، ص108.

[3] أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ص160.

[4] بشير الملاح، **تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)**، ج1، دار المعرفة، د.ب، 2006، ص75.

لتحقيق ذلك [1]، وقد شهد له فالزة على صحة كلامه حين صرح بأنه كان في كل قرية مدرستان [2].

المطلب الثاني: تشجيع العلم ومعاملة الطلاب

وليحقق النجاح لمشروعه التعليمي ويضمن التحاق الأغلبية به، جعل التعليم مجانا لرغبة بعض الطلبة المجتهدين في مواصلة دراستهم علاوة ذكية لجلبهم وخلق التنافس الشريف بينهم[3]، فكان الأمير يشجع الطلبة على تحصيل العلم ويكافؤهم على نشاطهم فيه وذلك بتقديم امتيازات خاصة بهم كي يقبلوا على العلم بكثرة[4] من بينها:

- تخصيص رواتب لهم على حسب معارفهم ودرجاتهم وإعفائهم من الضرائب[5].
- العفو عنهم في حالة ما إذا كانوا مجرمين، ومحكوما عليهم بالموت[6].
- إصدار الأوامر باحترامهم واستثنائهم من جميع الخدمات.
- تشجيع النجباء منهم بعد امتحانهم في الفن الذي يتعاطونه والإعراض عن المتهاونين فيه[7].

وكما كان الأمير عبد القادر مقتنعا بضرورة تلقين العلوم الشرعية إلى جانب العوم العقلية إذ يقول: " ***لا غنى بالعقل عن العوم الشرعية ولا غنى بها عن العقل والذي يدعوا الناس إلى النقل المحض مع عزل العقل، جاهلا والمكتفى بمجرد العقل عن العوم***

---

[1] بوطالب عبد القادر، المرجع السابق، ص 90.
[2] أيتين برونو، المرجع السابق، ص163.
[3] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص317.
[4] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص192.
[5] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 108
[6] عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص 104.
[7] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص309.

الشرعية ومعزول. فإياكم أن تكونوا مع أحد الفريقين وكونوا جامعين بينهما فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية" [1]، فكان أساس بناء الدولة عند الأمير العلم والتربية انطلاقا من المؤسسات التعليمية، وكان هدفه من تنشيط الحركة التعليمية تحقيق شيئين:

الأول: المحافظة على التراث العربي الاسلامي الجزائري والمساهمة في تطويره معرفيا ووعيا.

الثاني: التماسك الاجتماعي بين الحربين لمواصلة الجهاد ضدّ الاستعمار الاستطاني، وقد شهد له كثير من الفرنسيين بهذا[2].

ومن ثم صار التعليم في المدينة والريف في الجزائر الأميرية رسميا ومن مهام الدولة أساسا إشرافا وتوجيها بتعيين المؤهلين للتدريس وتخصيص لهم رواتب[3]، فنشطت فنشطت الحركة التعليمية وانتشر العلم في جميع المقاطعات وأقبل الناس على تعليم أولادهم فكثر النفع وعمت الفائدة.

وبعد الجهد الكبير الذي بذله الأمير من أجل إنجاح التعليم في الجزائر واعتباره أحد الأركان الأساسية في بناء الدولة الجزائرية فقد نظم ثلاث مراحل للتعليم حسب الأطوار.

الطور الأول: مرحلته أربع سنوات يتعلم الطفل خلالها القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وفي كل قرية كانت هناك خيمة تدعى الشريعة يشرف عليها مؤدب يختاره سكانها وينال فرنكين أجره في اليوم [4].

---

[1] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص320.

[2] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص 141.

[3] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص108.

[4] أديب حرب، **التاريخ العسكري والإداري لدولة الأمير**، المرجع السابق، ج2، ص70.

الطور الثاني: يستطيع التلميذ أن يواصل تعليمه مجانا في الجامع أو مدرسة ملحقة بالأوقاف يشرف عليها مدرس، وكانت الدروس تشمل النحو والصرف والتفسير والقرآن خاصة، وينال الطالب في الأخير إجازة غير مكتوبة إنما شفهية ويصير باستطاعته القراءة في الجامع ويتولى وظيفة كاتب أو مؤدب.

الطور الثالث: (التعليم العالي): ليس هناك فصل واضح بين الطور الثانوي والعالي والأستاذ الذي يدرس في هذه المرحلة يسمى عالما يتقاضى أجرا من الأوقاف وكانت الدروس تتألف من النحو والفقه والحساب والفلك والتاريخ وتعطى في الزوايا وأهم الجوامع[1].

المطلب الثالث: جمع الكتب والحفاظ عليها

كان الأمير يحرص بنفسه على جمع وصيانة الكتب والمخطوطات من الضياع حيث كان يعطي القبائل أوامر مشددة من أجل المحافظة على الكتب ويأمر بعقوبة صارمة في حق كل من يمسك متلبسا بإتلافها أو تمزيقها حيث أنه كان يقدر جيدا الزمن الذي يلزمه لكتابة نسخة واحدة، فالحفاظ عليها أفضل من بذل المجهود الذي يجدر توجيهه لمساعي جديدة وعلوم جديدة [2].

وقد كان الجنود يعرفون مدى اهتمام الأمير بهذا الموضوع فكانوا يحرصون على إحضار كل ما تقع عليه أيديهم من مخطوطات أثناء الغزوات وذلك بعناية فائقة، وكان هو بدوره يعطيهم جوائز قيمة إثارة لحماسهم وتشجيعا لهم، وبفضل هذه العناية تجمع للأمير

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص163.

[2] عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص104.

عدد لا بأس بهه من المخطوطات وضعت في أماكن آمنة في الزوايا والمساجد وأوكلها إلى الطلبة الذين كانوا محل ثقته[1].

أسس الأمير مكتبته في تاقدامت لتعميم الفائدة وتوفير المصادر للباحثين ولإثراء هذه المكتبة أمر إطارات الدولة والأعوان والجنود بجمع الكتب من كل أنحاء البلاد وإحضارها إلى الادارة المركزية ليضعها في المكتبة أو في ديوان الأمير[2]. ومع مرور الوقت أراد الأمير أن يجعل من مدينة الزمالة مركز علميا من خلال إنشاء مكتبة بها، حيث قدر عدد الكتب بها حوالي 5000 مخطوط مجلدة تجليدا فاخرا بالإضافة لما أحضره معه من كتب في رحلته إلى المشرق بعد جهد كبير[3]،ولكن الدوق دومال[4] إستولى على مكتبته والتي قدر البعض عدد ما كانت تحتوي عليه من المجلدات بها لا يقل عن خمسة آلاف مجلد[5]، ويقول الأمير في هذا الشأن تحصرا: ***" فإن والله لم يشأ ذلك، فالكتب التي أحضرتها من كل أجزاء الشرق لهذه المكتبة أخذت مني، عندما إستولى ابن الملك على زمالتي..."*** [6].

المبحث الثالث: البعد الروحي في مؤسسة القضاء عند الأمير عبد القادر

قام الأمير بإضفاء نوع من العدالة عن طريق ممثليه بجميع درجاتهم بممارستهم القضاء العلماني المبني ضمنيا على القرآن والسنة، ولكن قبل كل شيء العقل السليم

---

[1] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص 192.

[2] إدريس خضير، المرجع السابق، ص136.

[3] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص319.

[4] هو الابن الرابع للملك لوب فيليب الأول، وهو جنيرال ومؤرخ من مواليد 1822-1897م بباريس، برز اسمه أثناء حملة الجزائر، حيث استولى على زمالة الأمير عبد القادر سنة 1843. أنظر: لخضر بكاي، المرجع السابق، ص 108.

[5] إسماعيل العربي، **الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة وقائد الجيش**، وزارة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص31.

[6] هنري تشرشل، المصدر السابق، ص08.

والعادة أو العرف الجاري (التقليد المعروف) كما حاول إعطاء تسمية دلالية معتمدة على القانون المشترك للدين والعدل.

المطلب الأول: مكانة القضاء عند الأمير وشروط وصفه

كان الأمير حريصا أشد الحرص على إقامة الحق، ونشر لواء العدل بين عموم الرعايا، فكان تنظيم العدالة شغل الحكومة الدائم لأنها العامل الأساسي لتثبيت سيادتها على كافة الأراضي التابعة لها، وضمان حقوق مواطنيها فأول عمل قام به الأمير لترشيح معالم الدولة الاسلامية الحديثة الإقبال على الوظائف الشرعية، فعين في كل عمالة وكل دائرة واسعة الأنحاء قاضيا عالما يفصل القضايا الشرعية[1] على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة فقيها نزيها مشهورا بالعفاف والقيام بأمور الدين[2] مع الأخذ بعين الاعتبار المذاهب الأخرى عن التطبيق كالمذهب الحنفي والاباضي[3].

وقد أشرف على تعيين القضاة بعناية تامة ويتم اختيارهم من بين العلماء المعروفين علنا أو المعينين تلقائيا بعد اجتياز اختبار يخضع له المترشح عند فقيه نابغة[4]، ثم توفير كل الامكانيات المادية والمعنوية لأداء هذه الوظيفة الحساسة على أكمل وجه[5]، وكان

---

[1] بونار رابح، «نظام الحكم في إمارة الأمير»، **مجلة الأصالة**، مج: 8، ع 23، طبع بالمؤسسة الوطنية، الجزائر 2012 ص46.

[2] عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص30.

[3] أحمد مطاطلة، «نظام الادارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر»، **مجلة الذاكرة**، ع 04، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996 ص181.

[4] جيلاني ضيف، **الأمير عبد القادر الجزائري بين الدولة والأمة**، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 ص131.

[5] بلال حسني، «القضاء الاسلامي في دولة السلطان الأمير عبد القادر»، **ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر منبع الأصالة رائد الحداثة**، يصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011 ص77.

الغرض من تنصيب القضاة هو قطع النزاع وفصل الخصومات والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف وقمع المظالم ونصر المظلوم.

وقد بلغت رغبة الأمير في المحافظة على ثقة الناس بالجهاز القضائي إلى درجة إرسال المنادين (البراحين) إلى الأسواق وإلى مواطن القبائل ليعلنوا للناس ***" أنّ كل من له شكوى على الخليفة أو الآغا أو القايد أو الشيخ فليرفعها إلى الديوان الأميري من غير وساطة فإن الأمير ينصفه من ظالمه وإن وقع ظلم على أحد ولم يرفع ظلمته إلى الأمير فلا يلوم إلا نفسه "*** [1].

وكان مقر السلطة القضائية والتي يمثلها قاضي القضاة **" السيد أحمد بن هاشمي الوراجي"** في معسكر، كما أنه لم يجعل للقضاء وزارة خاصة به بل أشرف عليه بنفسه اعتمادا على تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية السمحة نصا وروحا [2] كما حرص الأمير دائما أن تكون العدالة نابعة من القرآن وبفضل يقظة الخلفاء والأغوات والقواد، والمسؤولية التي حملتها القبائل عن كل الجرائم والسرقات التي ترتكب في مناطقها، أصبحت الطرق آمنة واستتاب الأمن والاستقرار في البلاد [3].

كما بسط الأمير العدل بسرعة وبجدية بحيث يحاكم المذنب أمام محكمة العلماء حسب ما جاء في نصوص القرآن، والحكم ينفذ في الحين أما حكم الإعدام فيتم تنفيذه في غرفة الرؤوس، ويقوم الأمير بالحكم من خيمته عن طريق إشارات اليد فقط، فإذا رفع يده يرمي المذنب في السجن، وإذا جعلها عمودية يقطع رأسه، أما إذا خفضها نحو الأرض يتعرض المذنب للجلد، ويكون الحكم بشأنها سريعا وجديا وصارما، وقد أثبت ذلك اسكوت

---

[1] اسماعيل العربي: «حكومة الأمير عبد القادر، إدارتها ومهامها»، **مجلة الثقافة**، ع75، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مطبعة أحمد زبانة، الجزائر 1983، ص224.

[2] الصادق مزهودي، **تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري إلى حرب التحرير الوطني**، ط2، دار بهاء الدين الجزائر، 2012، ص234.

[3] محمد علاق، المرجع السابق، ص51.

حينما وضح فكرة الخوف كذلك، الذي يوحي به الأمير في أحكامه القوية في نفوس المخطئين والمتلاعبين وذلك من خلال قوله: ***" الذي يساعد العدو وبثروته المطلوب منه ثروته، أما الذي يساعد بيده مطلوب منه رأسه"*** [1]، كما أعلن بحل المشاكل وإقامة العدل بين الناس قائلا: **" آه ! الأشقاء كل من يشتكي من الخليفة أو الآغا أو القايد أو القاضي فإنه يخبر السلطان من أجل إنصافه، أما إذا سكت فإن الله لا يطلب من السلطان أي شيء في يوم الحساب"**[2]، لم يكن هذا النداء مجرد كلام بل طبقه الأمير بالاستماع الصبور لشكاوي الناس بالفعل ولساعات متأخرة أحيانا.

شروط اختيار القاضي:

إن المعايير المعتمدة أثناء توظيف القاضي الذي بإمكانه أن ينحدر من نسب متواضع هما السيرة والعلم[3]، كما اشترط الأمير في القاضي أن يكون فقيها نزيها، مشهورا بالعفاف والتقوى والنحوى في دينه وربط إدارة مجموع القضاة بمراجعة العلامة قاضي القضاة أحمد بن الهاشمي المراحي رئيس مجلس الأمير الخاص، وقد عين لكل قاض كاتبين أكبرهما يقوم مقام المفتي في مطالعة الفتاوى التي تجري الأحكام على مقتضاها باعتماد المذهب المالكي في فصل القضايا[4]، كما أن يكون القاضي على دراية بالعقوبات " التعزير" أو بتلك التي فرضها الله تعالى" الحدود" والتي اتسمت بالقساوة، بالإضافة إلى تحري الحق فيه، والأصل المتواضع والنزاهة حتى لا تغره نفسه بالتعالي والتجبر على طالبي الاقتضاء[5].

---

[1] إسكوت الكلونال، المصدر السابق، ص114.

[2] Azan(p.) ,opcit ,p131 .

[3] بن أشنهو.ع، المرجع السابق، ص116.

[4] رابح بونار، المرجع السابق، ص ص 46-47.

[5] أحمد مطاطلة، المرجع السابق، ص132.

عدم مشاركتهم في أي من النزاعات العقارية أو قضايا الأحوال الشخصية أو قضايا التركات التي كانت من اختصاص القاضي[1].

وقد كان القاضي يعين لمدة سنة قابلة للتجديد، وفي حالة الخطأ الخطير كان في استطاعة الخليفة أن يعزله[2] ومثال على ذلك نجد أن الأمير قام بعزل قائد تاقدامت الذي خلف بوشليحة، لأنه تسلم أربعين دولار رشوة من أحد المتخاصمين في أول قضية عرضت عليه في منصبه الجديد[3].

ولقد خصص الأمير عبد القادر للقضاة مرتب قدره 10 دورو ما يعادل 50 فرنك في الشهر كما أنهم يحصلون على بعض المكافآت عند البث في بعض القضايا[4].

كما أن الأمير يقوم باختيار العدول (الكتبة) ويكلفهم القاضي بمهمة تسجيل الدعوى وحفظها في سجلات خاصة وهم متواجدين على مستوى المقاطعة أو الدائرة وقد كان من يشتهر منهم بالصدق والاستقامة يلقب "بعدل الرضا"[5].

المطلب الثاني: أنواع القضاء

قسم الأمير عبد القادر القضاء إلى قسمين، قسم القضاء المدني وقسم القضاء الجنائي، وخص له راتبا شهريا وإضافات مالية لقيام القضاة بواجباتهم الخاصة، وقد كان الكتاب والسنة هو المرجع لذلك بصفة عامة [6].

---

[1] بن اشنهو.ع، المرجع السابق، ص ص113 -114.

[2] محفوظ قداش، **جزائر الجزائريين**، تر: المعراجي محمد، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2008، ص78.

[3] ناصر الدين سعيدوني، " النظام الضرائبي لدولة الأمير عبد القادر"، **مجلة الثقافة**، ع 75، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانة، الجزائر1983، ص124.

[4] أيتين برونو، المصدر السابق، ص164.

[5] فتحي دردار، المرجع السابق، ص87.

[6] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص 189.

القضاء المدني:

يتولى شؤونه قضاة شرعيون، يعينون مباشرة من قبل الأمير أو الخلفاء في المقاطعة عن طريق مجالس الشورى بكل المقاطعات[1] ويهتم هذا القسم بشؤون الأملاك العقارية والأحوال الشخصية والميراث وليس من مهمة القاضي المدني التغريم ولا الحبس ما عدا حالات استثنائية هي:

- وجود شخص ثالث لحقه الضرر وطالب بالتعويض.
- المروق عن الدين أو تطبيق الحدود والحكم بالتعزير[2].

وقد جعل الأمير لكل قاضي كاتبين أكبرهما يقوم بدور " المفتي" مطالعة الفتوى ودراستها على المقتضى بما جاء في المذهب المالكي ثم يقدمها غلى القاضي ليحكم بها فيبث بالثانوية ويحيل الأساسية إلى معسكر للحكم فيها، أما الثاني فهو خاص بتنفيذ الأحكام في عدة مجالات وكانت من أهم اختصاصاته قضايا الزواج والوصايا، المبيعات، الارث والوصية [3].

---

[1] عبد القادر زابر، **دور خلفاء الأمير في بناء الدولة الجزائرية (1832-1847)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف محمد الطيبي، قسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الانسانية والحضارية الاسلامية، ، جامعة وهران، 2009-2010 ص37.

[2] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص311.

[3] محفوظ قداش، المرجع السابق، ص59.

القضاء الجنائي:

لم يكن له محاكم خاصة وقضاة شرعيين [1] بل كان يقوم به موظفين إداريون تابعين للإدارة بحسب السلم الإداري [2]، فكان القضاء الجنائي يسند إلى الخليفة والآغا والقايد الذي يساعده الشيخ في القبائل والعشائر [3].

وتتمثل نوعية القضايا التي يحكمون فيها في كل جرائم القانون العام كالقتل والسرقة وقطع الطرق والخيانة بالتعامل مع العدو او الفرار إليه [4] وكان الأمير يفصل بنفسه في المظالم المرفوعة في شكل محكمة عليا، ولا يفلت من عقاب المحكمة أي موظف مهما كانت رتبته [5].

ومن نماذج الاحكام القضائية في عهد الأمير:

- **جريمة الخيانة العظمى:** أرسى الأمير المسؤولية الجنائية لوزرائه ومفوضي الدولة أثناء ممارسة مهامه، فكانت التجارة مع العدو خيانة، عظمى لأنها إفشال لسياسة الأمير الجهادية[6] حيث يقول: ***"أن تشريعتنا صريحة في أن كل من اعان العدو ببضائعه فقد اجل بضائعه، وكل من اعانه سلاحه فقد أجله بحياته"*** [7].

---

[1] فتحي دردار، المرجع السابق، ص87.

[2] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص 312.

[3] بلال حسني، المرجع السابق، ص ص 76 -77.

[4] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص312.

[5] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص310.

[6] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص315.

[7] هنري تشرشل، المرجع السابق، ص 153.

- **التغريم:** أصد الأمير أحكاما بالتغريم على قبائل مخالفة مثل: قبيله هوارة، فحكم عليهم الأمير بغرامة [1].

- **حد السرقة:** أطلق الامير على جريمة السرقة ما جاء في الآية الكريمة التي تقول: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا**﴾ [2]، وهذا ما نقله لنا اسكوت بقوله: «***تقتضي الضرورة بقطع اليد اليمنى والرجل اليمنى***» [3].

- **حكم الاعدام:** وقد كان أول من دفع حياته ثمنا لخيانة السيد المدني عديل قاضي أرزيو الذي بعث إلى الحامية الفرنسية بقطيع يتكون من 300 رأسا من الغنم و 5 جياد، وفقد أخذ هو ورجاله من الذين اشتركوا في العملية إلى معسكر وحوكموا هناك وصدرت عليهم أحكام بالإعدام ونفذ في الحال[4].

المطلب الثالث: القضاة

كان في دولة الأمير قاضيين كل حسب تخصصه منهم:

قاضي الطرائق:

هو قاضي الشريعة الذي يأمر بتصفية الميراث، ولهذا كان يجمع الحقوق الميراثية التي تعود إلى البايلك (الخزينة العامة) لأن الدولة المسلمة لها الحق في وراثة من لا يترك وارثا أو نسيبا قانونيا[5].

---

[1] عائشة بن ساعد، المرجع السابق، ص315.

[2] سورة المائدة، الآية رقم (38).

[3] إسكوت الكولونال، المصدر السابق، ص 125.

[4] إسماعيل العربي، **حكومة الأمير عبد القادر (إدارتها ومهامها)** ، المرجع السابق، ص 222.

[5] أحمد، مطاطلة، المرجع السابق، ص179.

يدير القاضي أملاك الدولة التي تشكل مصدرا معتبرا للخزينة كما كان للدولة أراضي صالحة للاستغلال جزئيا بواسطة مساهمة الضرائب وبفضل الإجراءات المسماة بالتويزة[1].

قاضي المحلة:

هو قاضي الجيش، يطبق العدل في المعسكرات والثكنات وداخل وحدات الجيش[2]، كما يتابع تنقلات الفرق، يتمثل دوره في إرشاد الجيش الذي يستشيره في قضايا الشريعة الاسلامية، كما يقيم الصلاة ويوجه ملاحظات دينية وقضائية ويقدم دروسا في الفقه والعلوم الدنيوية[3].

ومن بين القضاة في دولة الأمير نجد:

- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي: ولد سنة 1208ه/1793م ولي القضاء بتلمسان ما يقارب من 25 سنة وخرج منها الي فاس مهاجرا إلى المغرب الأقصى بعد استلاء الفرنسيين على تلمسان، توفي سنة 1267ه/1851م.

- الحاج العربي الداودي التلمساني: تولي القضاء بتلمسان وتوفي بها سنة 1271ه/1854م.

بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من القضاة منها: الشيخ عدة بن غلام الله والقاضي سي محمد ثنية الحد، القاضي بن أشهيدة وكذا الشيخ بلقاسم بن ميرة[4].

---

[1] بن اشنهو.ع، المرجع السابق، ص118.

[2] بلال حسني، المرجع السابق، ص 79.

[3] بن اشنهو.ع، المرجع السابق، ص 118.

[4] بلال حسني، المرجع السابق، ص 80.

الفصل الرابع

الجوانب الروحية للأمير عبد القادر

في المجال الإقتصادي

المبحث الأول: النظام المالي والنقدي لدولة الامير

قام الأمير بمحاولة إحياء الجانب الاقتصادي وفق منظور ديني وبالتالي استطاع تفعيل الحياة الاقتصادية وذلك بنبذ كل المعاملات الغير شرعية ومنع كل تعاملات البيع والشراء تحت أي ظرف كان إلا وفق النظام الضرائبي الذي قام بتشريعه مع مراعات الأحكام الشرعية، كما ألزم دولته بتقويم اقتصادها عبر تأسيس نظام نقدي خاص به، ولم يتأنى ذلك له إلا بضرب السكة وإصدار العملة لما لهذه الخطوة من أهمية بالغة تتجاوز المصالح الاقتصادية من أجل إبراز الناحية الشرعية لدولته.

المطلب الأول: الضرائب

اهتم الأمير باقتصاد دولته وفقا لأسس إسلامية صحيحة عبر إعادة الثقة للتعاملات الاقتصادية والتجارية، كما سعى إلى زيادة مداخيل وموارد الخزينة للقيام بأعباء الدولة وتمويل المجهود الحربي حيث أورد في كلامه " ***لتوفير المصاريف لإدارتي كان علي أن أصنع كل شيء من العدم رغم أنني قيدت نفسي بالإنفاق على ما هو ضروري فقط ، فكان لا بد من فرض الضرائب الثقيلة***"[1] ولم يتأنى له ذلك إلا بفرض الضرائب على الرعية مع مراعاة الأحكام الشرعية إلا أنه كان جد قلق من مسألة الضرائب حيث نجده يستقي فقهاء فاس مخافة تعارض نظامه الضرائبي مع الأحكام الشرعية وهكذا قام الأمير بإلغاء الضرائب الغير شرعية مثل اللزمة، الغرامة و العائد وعوضها بضريبتي العشور[2] والزكاة[3] وذلك وفقا للمباديء الاسلامية التي تنص على شرعيتها في قوله

---

[1] فتحي دردار، المرجع السابق، ص 99.

[2] هي ضريبة تجمع مالا وعينا على كل اصناف المزروعات كالحبوب والخضر والثمار. انظر فريدة قاسي، المرجع السابق، ص265.

[3] تستخلص من الخيول والجمال والبيغال والابقار والاغنام حسب النسب المحددة شرعا، اذ كانت العادة تقتضي ان يوجد من مجموع الاغنام 100/1 ومجموع الابقار 100/3 ومن مجموع الجمال 100/5.2. انظر: فريدة قاسي، المرجع السابق، ص266.

تعالى:﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] كما قام بإلغاء كل المطالب المخزنية السابقة وكل أعمال المصادرة التعسفية وتغريم بغير وجه حق ، وكل إجراءات العقاب الجماعي، كما ألغى كل الامتيازات السابقة التي كان يتمتع بها كل الكراغلة ، بل فرض عليهم ما يتوجب دفعهم بالإضافة إلى إرغامهم على المساهمة في المجهود الحربي بمشاركتهم في المعونة والتي اعتبرت ضريبة استثنائية خاصة بالمجهود الحربي[2].

لقد أوصى الامير جامعي الضرائب والزكاة بعدم ظلم وغبن الناس وعين قاضيا ينظر في شكوى الناس إذا كان هناك تجاوز وتعسف من طرف العمال، كذلك لم يكن يتسامح مع ظواهر الرشوة والفساد والمحابات، مصداقا لما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [3]وأيضا لما جاء في الحديث النبوي: «***لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي***»[4]. وقد اضطر الي معاقبة أحد رجاله لتعاطيه الرشوة، كما أن عماله كانوا يتساهلون مع الرعية في دفع الضريبة نقدا أو عينا فقد ألزمهم الأمير بالعدل والمساواة بين الناس في تحصيل ما توجب عليهم من متطلبات بالإضافة إلى إلزام رجاله بأخذ إجراءات تتصف بالبساطة والكفاءة والذكاء والحزم في آن واحد عند تحصيل الضرائب وتسيير شؤون بيت المال، وذلك من أجل إبراز روح التعاون بين الرعية وإنفاق محصول جباية الضرائب في المصلحة العامة.

---

[1] سورة البقرة الآية رقم(83).

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص127.

[3] سورة البقرة، الآية رقم (188).

[4] رواه أحمد والطبراني من حديث ثوبان رضي الله عنه.

لم تقتصر موارد المالية على المعونة والعشور والزكاة بل تعززت بالغرامات والخطية التي كان يفرضها على القبائل المتمردة إضافة إلى مصادرة الأملاك بعد الغارات الحربية[1].

ومن خلال هذه الأحكام الصادرة من القرآن الكريم أكدت مواقفه اتجاه النظام المالي عن بعده الديني مما يعطي لنا انطباعا صادقا بمدى تمسكه بانتمائه الديني وتمجيده في تمتين التجربة الإسلامية المستعملة في دولة الإسلام.

المطلب الثاني: العملة

سعى الأمير إلى تكوين نظام مالي حديث خاص بدولته بغرض الاستقلال عن الخارج،[2] فقام بإنشاء عمله وطنية تساهم في تقوية نفوذه لدى القبائل وإقامة قاعدة مالية جديدة للدولة الجديدة خاصة بعدما تعددت العملات المتعامل بها في كل الإقليم وقد كان أهمها الفرنك الفرنسي والدورو الاسباني(بومدفع)، ودورو الايالة أو الدورو الجزائري[3].

وقد استطاع الأمير تأسيس ورشة لصك النقود في تاقدامت في فترة تتراوح بين سنة (1250-1256ه/ 1834م-1840م)، وجعلها بنك الدولة المركزي،[4] وذلك لما تحظى به تاقدامت[5] من أهمية كبيرة لدى الأمير.

أقام الأمير عبد القدر بتاقدامت نظام السكة، أساسا على عدتي الفضة والنحاس أو البرونز اللتين كان يجري التعامل بهما جنبا إلى جنب مع العملات الأجنبية، وقد كانت

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص128.

[2] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص260.

[3] عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص101.

[4] أديب حرب، المرجع السابق، ص54.

[5] احتوائها على الموارد الطبيعية والاقتصادية الهامة كموقرة الغابات والأحراش، وكثرة السهول الواسعة والخصبة كسهل منداس وسهل مشرع الفاء والسارسو وسهول بتسمسيلت وغيرها كما كانت من أغنى مناطق المغرب الأوسط. أنظر: أحمد بوزيان، **تيارت من آل رستم إلى الأمير عبد القادر**، دار المدار الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د س، ص248.

قيمة العملة تحدد حسب أصنافها الثلاثة، فصنف كان يعادل قيمة الفرنك الفرنسي في ذلك التاريخ وصنف يعادل الفرنكين وثالث يعادل قيمة نصف الفرنك.

وتوسيعا منه لمجال النشاط الاقتصادي بين الناس ضبط مبلغ قيمته "دورو بو مدفع"[1] الذي كان يساوي خمسة فرنكات وأربعين سانتيما، فجعله الأمير يعادل أربعة ريالات جزائرية.

كما أنشأ الأمير عدة معامل في معسكر وملیانة والمدية وتلمسان لسبك هذه العملة ووظف الأجانب مؤقتا بها ليستبدلهم فيما بعد بالجزائريين بعد أن يتم تدريبهم لهذه الغاية[2].

والشيء الجدير بالملاحظة هو أن نقود الأمير لم تكن مشخصة على عكس النقود العثمانية[3]، فكان يظهر على كل قطعة جهة مكان وسنة السك، كما أراد إضفاء الطابع العربي الإسلامي على إمارته نتيجة لسياسة رسمها منذ معاهدة دي ميشال كان الهدف منها إرضاء شعبه بشعور عربي إسلامي وذلك بضربه عبارات التوحيد على وجهي العملة[4] وهذا ما أكد عليه دوماس حيث يقول " ***أن سكة الأمير عبد القادر لم تكن تضرب باسمه، بل كل النقوش المرسومة على ظهر النقود كانت آيات قرآنية وكان اختيار الآيات متصلا بالوضع السياسي أنداك***"[5].

وقد أظهر التخطيط الذي تم ذكره على وجهي عملة الأمير عبد القادر عدة دلالات ضمنية مقتبسة من القرآن وذلك من أجل أن يكشف الغرض الذي قامت من أجله الدولة

---

[1] عملة فضية إسبانية (la paistre forte) متوسط قيمتها(40،5) فرنكاو وزنها أوقية واحدة، وأخذت كلمة دورو عن الكلمة الاسبانية(duro) ومعناها قاس أو صلب، وأطلق عليها الإيطاليون إسم (piastrat cdonnats) لأنها تخرج من شاراتها أعمدة هركل (colonnes dhercule) الاسم القديم لجبل طارق هذه الأعمدة اعتقد الأهلي أنها مدافع ومن هنا جاءت تسمية دورو بومدفع، وواحد دورو بومدفع يساوي أربعة ريالات بوجو. أنظر: شعبان بدر الدين، المرجع السابق، ص44.

[2] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص261 -262.

[3] عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص101.

[4] لخضر بكاي، السابق، ص92.

[5] فريدة قاسي، المرجع السابق، ص263.

الجزائرية في ظل ظروف صعبة لتحقيق استقلال البلاد ووحدة الأمة وتمسكها بدينها الإسلامي الحنيف وبالتالي إحياء تراث السلف الصالح وهذا يدل على ثقافة الأمير الإسلامية ومدى تمسكه بتعاليم ديننا الحنيف.

ومن خلال المجهودات التي قام بها الأمير استطاع أن يقوم بسك العملة الخاصة به تحتوي دلالات قرآنية استجابة للتعاليم الإسلامية، والتي منها المحمدية والنصفية (أنظر الملحق رقم 09).

1/ المحمدية:

فقد سميت بهذا الاسم نسبة للرسول صلى الله عليه وسلم[1]، وهي تندرج من حيث التصنيف النوعي ضمن الفلوس النحاسية التي تمثل القاعدة النقدية الثانية في نظام سكة تاقدامت، هي مصنوعة من النحاس الأحمر مستديرة الشكل تتألف تصاميمها الهندسية من ثلاث حلقات من خيوط رقيقة اثنتان خطيتان تتوسطها حبيبات متراصة على أبعاد متساوية شبيهة بحبات اللؤلؤ والثالثة مدبسة والحلقتان الخطيتان تؤطران الكتابة المركزية في الوجهين[2] قطرها يتراوح بين 7إلى 16 ملمتر، ووزنها ما بين 0.9، و1.24غ[3] وتحمل الفلوس النحاسية نصوصا كتابية على غرار سابقتها من حيث الشكل وتختلف عنها من حيث المغزى والمعنى أما عن قيمتها فهي تعادل الفرنك.

أما من حيث المضمون كتب على أحد الوجهين مكان الضرب وتاريخه في أربعة أسطر أفقية (ضرب في تاقدامت 1256 ه) [4]، أما الوجه الأخر فكتب عليها بالخط المغربي ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [1]

---

[1] عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص209.

[2] صالح يوسف بن قرية، **من قضايا التاريخ والأثار في الحضارة العربية الاسلامية**، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، عين مليلة، 2012، 210.

[3] لخضر بكاي، المرجع السابق، ص92.

[4] صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص210.

كانت هذه المسكوكات تمثل أهمية خاصة في تاريخ الصراع بين قوات الأمير عبد القادر وبين قوات الفرنسيين الذين راحوا يكتسحون أراضي الجزائر مقتحمين حدود دولته كما كان لها بعض التصورات والمفاهيم الجديدة التي تتفاعل مع الأحداث ووقائع عاشتها البلاد من خلال الفترة ما بين 1834-1841م، ومن بين الأحداث البارزة التي عاصرتها النقود وضربت خصيصا للتعبير عنها تلك المعاهدات التاريخية الهامة التي عقدتها فرنسا مع الأمير عبد القادر وخصوصا معاهدة تافنة[2]، وفي هذا السياق تتجلى لنا بوضوح أسباب ضرب هذه النقود من قبل الأمير عبد القادر، كما تتضح أيضا أسباب نقش العبارة الدينية " ***إن الدين عند الله الإسلام***" حيث أراد مؤسس الدولة الأمير خلال جهاده ضدّ الفرنسيين إقامة دولة مستقلة تتوفر فيها شروط السيادة، ولعل الهدف الأسمى كان يرمي إلى تحقيقه هو جعل الشعب الجزائري شعبا واحدا واستمالته إلى المبادئ الإسلامية، وبالتالي تدل على هذا الاتجاه الإصلاحي للآيات الكريمة التي نقشها على نقوده والتي تمثل مدى ارتباط الأمير وتمسكه بمبادئ الشريعة الإسلامية.[3]

ومما سبق يمكن القول أنّ الأمير استطاع تكوين نظام مالي حديث خاص بدولته قوامه الدين الحنيف ودستوره القرآن ويرجع ذلك إلى انتمائه الروحي الذي اتسم به طوال فترة تعلمه وجهاده مما زاد من قوته وصلابته في إقامة دولة إسلامية من جميع جوانبها.

2/ النصفية:

وهي عملية مستديرة الشكل من معدن الفضة تتألف من كتابتين في الوجه والظهر تؤطرهما دائرتان أو حلقتان من خيوط معدنية رقيقة، الأولى خطية والثانية من حبيبات متراصة تشبه حبات اللؤلؤ،[4] قطرها 14 ملم، ووزنها4 ديسيغرام.

---

[1] سورة آل عمران، الآية رقم (19).

[2] صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 229.

[3] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص53.

[4] صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص207.

أما من حيث المحتوى فتحمل مكان وتاريخ ضربها وخطت (مسكوك في تاقدامت 1250ه) وتساوي قيمتها نصف المحمدية (نصف فرنك) وتعادل سنتيمين[1].

وكتب على الوجه الأخر ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[2] ولا شك أن هذا الشعار الديني يشير إلى المستجدات التي عرفتها الدولة الجزائرية الحديثة من 1838-1839 وفي مقدمتها ما وفرته معاهدة تافنة من مكاسب معتبرة وأتاحت له الهدوء والسلام وتمكن من خلالها تثبيت سلطانه ، ومن زاوية أخرى يمكن استنتاج أن الشعار كان يصور الوضع الصعب الذي عاشه الأمير خاصة بعد اشتداد الضغط من طرف الفرنسيين خلال السنوات التالية للمعاهدة وطلب المساعدة من الدولة العثمانية في جهاده ضد الفرنسيين ولكن دون جدوى فالتجأ إلى الله سبحانه وتعالى يطلب نصره ويوكل أمره[3] ومن ثم فإن هذه الآيات القرآنية تكشف النقاب على الجوانب الروحية في سياسة الأمير التي اتبعها في صراعه من أجل البقاء وإثبات السيادة والوحدة الوطنية والدينية لشعب الجزائر، وقد آثار الأمير عدم نقش اسمه على النقود بل فضل أن تحمل آيات من الذكر الحكيم حتى تكون لها قوة تأثير فعالة في إذكاء النفوس إلى الجهاد[4].

---

[1] عبد القادر سلاماني، **الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الحديثة(1832-1847)**، دار القصبة، الجزائر، 2013، ص78.

[2] سورة آل عمران، الآية رقم (173).

[3] صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص231.

[4] نفسه، ص230.

نقود فضية مجهولة الاسم:

أورد هنري لافوا في دليل المسكوكات الاسلامية المجلد (2) (اسبانيا افريقيا) وصفا مقتضبا لنقد ففي نادر يحمل رقم 1098 يعتبر الفريد من نوعه في المجموعات النقدية المعروفة[1]، والتي تساوي نصف فرنك[2].

أما فيما يتعلق بنوع الكتابات المسجلة على هذا النمط الفريد من نقود الأمير عبد القادر، فهي جديدة في معناها ومغزاها والهدف الذي يرمي إليه، ففي مركز الوجه كتابة من أربعة سطور أفقية متوازية نفذت بطريقة الحفر البارز، بأسلوب الخط النسخ المغربي[3]، وتشير إلى الآية الكريمة:﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾[4]، وكتب على الظهر محل الضرب وتاريخه مثل: (ضرب في تاقدامت 1250ه).

ومع أهمية هذا الشعار من الناحيتين الدينية والسياسية يبقى هذا النوع من النقود مجهولا بين النقود الأميرية المعروفة تاريخيا (أنظر الملحق رقم 10)[5]، لكن الواضح أن الهدف من تسجيل هذه الآية على نقود الأمير هو التعبير عن وضعيته وأحوال المسلمين معه وعدم استقرار أوضاع وأحوال الدولة بسبب الضغط الفرنسي على أراضيه، وقلة الأنصار خاصة أن بعض القبائل كانت معادية ومناهضة له، والتخوف كذلك من المصير المحتوم الذي يتوقعه في نهاية المطاف.

---

(1) lavoix (H.),**catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèques nationale de paris**, Vol 12, (Espagne et L'Afrique), paris, 1891, p 511.

(2) عبد الرحمان بن محمد الجيلاني، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، دار الأمة، الجزائر، 2009، ص 293.

(3) صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 209.

(4) سورة الأعراف، الآية رقم: 126.

(5) صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص ص 209-210.

وقد جعل الأمير من هذه الآية وغيرها من الآيات شعار من أجل إثبات الجانب الديني التي قامت عليه دولته، أو دعوة إلى المضي قدما في تحرير أراضي الدولة واستعادة سيادتها، ولا شك أن تاريخ 1250ه يشير إلى الدولة واحتفاظها بمدينة تاقدامت[1]. كما قام الأمير بضرب نقود أخرى تحمل شعارا مشابها هو﴿**رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا**﴾[2].

كان قصد الأمير من استعمال هذه الشعارات على عملته إظهار الجانب الديني لدولته من خلال النصوص التي احتوتها، بالإضافة إلى كسب الأنصار واستمالتهم وإثارة حماسهم إلى الجهاد في سبيل الله ومن أجل تحرير الوطن إذ نكتشف من مضمون نصوصها أنها تصوير واقعي ومرآة عاكسة لأهم الأحداث التي شهدتها الدولة الجزائرية وهي تحاول بناء أجهزتها والتمكين لنفوذها وبسط سيادتها على الجزائر [3].

كذلك هناك نوع آخر من العملة مستديرة الشكل تحمل في الوجهين نصوصا كتابية تتألف من ثلاثة سطور يفصلها خطان متوازيان تشير إلى هذا الاقتباس[4]﴿**وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ**﴾ [5]، وكتب على مركز الظهر، ضرب في تاقدامت 1250ه.

كان هذا الشعار على نقود الأمير عبد القادر يستوجب الوقوف والتأمل ذلك أن استعمالها كشعار ديني على نقوده في هذه الفترة بالذات 1835م كان يصور لنا الصراع القائم بين الديانتين السماويتين هما المسيحية الصليبية من جهة والدين الإسلامي من جهة ثانية والصراع بين حضارتين غربية مسيحية ومشرقية إسلامية، كما يعتبر كذلك صراع

---

[1] صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 232.

[2] سورة البقرة، الآية رقم: 250.

[3] صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص 232.

[4] عبد القادر بوطالب، المرجع السابق، ص 101.

[5] سورة آل عمران، الآية رقم(85).

بين قوتين عسكريتين غير متكافئتين، قوة استعمارية تريد استغلال البلاد والعباد، وقوة مظلومة هي صاحبة الحق وطنها دولة الأمير عبد القادر التي كانت تسعى إلى تحقيق الاستقلال والسيادة وتحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي، ومن هنا تتجلى أهمية دراسة النقود من الناحية الروحية والحضارية كون وجود هذا الشعار على النقود يعبر على المبدأ الديني الذي قامت على أسسه الدولة الأميرية[1].

المبحث الثاني: المعاملات التجارية

حاول الأمير إنعاش القطاع التجاري بناءًا على أسس متينة بكل قواه المادية والروحية التي تنبذ كل التجاوزات الغير مشروعة، وأن يسيطر على المعاملات التجارية التي كانت ذات السمات الأخلاقية التي انتهجها الأمير من خلال إتباعه ما نصت عليه مظامين الشريعة الإسلامية خاصة وأن النشاط التجاري هو الذي كان له الدور الأكبر في إمداد خزينة الأمير بالأموال لإرساء دعائم دولته وفق منهج مشروع.

أعطى الأمير اهتماما كبيرا للتجارة من أجل إعداد قاعدة اقتصادية للدولة، وذلك بفضل الأمن الذي كان مستتبا تماما في كل الأقاليم الواقعة تحت سلطته، ويذكر في هذا الشأن بن أشنهو أن الأمير «***كان صارما فيما يخص قضية أمن الطرقات والأسواق، وكانت العقوبات قاسية بالنسبة لمن كانوا يعترضون القوافل المحملة بالبضائع***»[2] وانطلاقا من مبادئ الشريعة الإسلامية التي تنادي بالأمن حاول الأمير بسط الأمن من أجل إحياء المبادلات التجارية.

كان الأمير يعين محتسبا وهو ما يشبه المفتش وكان في نفس الوقت يعمل على التحكم في أسعار ونوعية البضائع في الأسواق مصداقا لحديث الرسول صلى الله عليه

---

[1] صالح يوسف بن قرية، المرجع السابق، ص ص 227، 228.

[2] بن أشنهو.ع، المرجع السابق، ص 141.

وسلم عن أبي هريرة: "**من غشنا فليس منا**" وأكد على المحتسبين أيضا مراقبة الأخلاق التي كانت سليمة ومحترمة وعلى أساس أخلاقي ديني أصبح توزيع البضائع والسلع في دولة الأمير لا يستلم إلا بترسيخ منه وبمراقبة الشرطة الفعالة لدولته التي تهتم بالأخلاق الحميدة وتحارب الذميمة[1].

كان الأمير رافض للمعاملات الربوية في دولته وفق ما نصت عليه المبادئ الإسلامية من خلال ماجا في كتاب الله في قوله: ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾[2] ونبض الغلول وحرمه بين رعاياه باعتباره نوع من السرقة بسبب النزاعات بين الناس ونشر الحقد والعداوة وذلك مصداقا لقوله تعالى :﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [3].

كانت أساس المعاملات التجارية خلال دولة الأمير تقوم على الرضى بين الطرفين لما جاء في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ﴾[4].

---

[1] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 138.

[2] سورة البقرة، الآية رقم (275).

[3] سورة آل عمران، الآية رقم (161).

[4] سورة النساء، الآية رقم (29).

الخاتمـــــــة

في نهاية هذه الدراسة والتي تناولت جوانب روحية لدولة الأمير عبد القادر في الفترة الممتدة من 1832 إلى غاية 1847 توصلنا إلى عدة نتائج ولعل من أهمها ما يلي:

تكوين الأمير ومراحل ثقافته التي تلقاها وهو صغير قد أثرت ولعبت دورا واضحا في توجيه سلوكه وهو كبير، وهي التي أطرت حياته وبلورت مواقفه كلها، ومن هذا تمكنا من التعرف على أهمية البعد الروحي كمنطلق مرجعي لفهم حياة الأمير عبد القادر وتاريخه.

كانت حياة الأمير عبد القادر محتجبة وراء الشخصية الوطنية، بينما كانت حياته الفعلية كلها نوع من السر الروحي حتى في اكتسابه وفهمه الثقافات والعقائد الدينية والطرق الصوفية التي أظهرت عقله وصنعت تفكيره وتعبيره خاصة منها القادرية والشاذلية والطريقة النقشبندية التي تنبغي حياة صوفية صامتة يغمرها نوع من التخفي الروحي.

لقد ظهرت روحانية الأمير في بناءه لدولته مدفوعا بعامل ديني قوي ويظهر ذلك في مبايعته للإمارة محتكما للقرآن والسنة، حيث كان الإيمان بالنسبة إليه وسيلة وغاية للسلطة، لجوءً إلى الشعب بالمبايعة، كما يظهر السر الروحي للأمير عبد القادر في تسيير شؤونه العامة في دولته بالرجوع إلى حكم الجماعة مقتديا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم باعتماده على مبدأ الشورى.

لقد اتسم المنهج القيادي للأمير بالتطبيق الفعلي لمبدأ الجهاد الإسلامي حسب أصول الشريعة عن طريق التذكير بالجانب الأخلاقي والعقائدي لتكوين جنوده بغرض تدعيم الجهاد، كما دعا أيضا إلى نبذ التقليد عن طريق الحث على الاجتهاد لهزم العدو الظاهري، ولم يمنعه ذلك من الاستعانة بخبرات الأجانب ولا إهمال الجوانب الروحية للمجتمع لأنه ببساطة لا يعتبر الآخر عدو كإنسان بل كمعتدي، ولهذا عامل الأمير جنوده

بالحسنى ولعل صفحات معاملته للأسرى شاهدة على تعاملاته حين قام بالتفاوض ثم التبادل لأنه يعرف قيمة الإنسان ومعاملته.

بدأ الأمير مرحلة من الجهاد وهذه المرحلة هي أخطر من جهاد السيف على أساس أن نتائجه غير آنية، فكان جهاده يقوم على محاولة إصلاح كل المؤسسات ذات البعد الديني عن طريق اهتمامه بالتربية والتعليم والإتمام بالقضاء والمراقبة لموظفيه عن طريق توزيع الأدوار القضائية، كما قام بنشر التصورات الإسلامية وتطبيق حدود الشريعة باستنباط الأحكام بمنتهى الذكاء والدقة، فربى أفراده بدروسه المأخوذة من الفقه والتوحيد ودليل ذلك ما أقامه من محاكم قضائية.

لقد اتسم الجانب الاقتصادي وفق تطبيق فعلي بنوع من المعاملات الأخلاقية حسب أصول الشريعة فقام بفرض الضرائب مع مراعاة الأحكام الشرعية وهذا ما جعل روحانيته تظهر من خلال مبادئه وتعاملاته، كما قام بضرب عملته بحلة جميلة ذات نقوش لآيات قرآنية منتقاة جيدا بدلالة بعده الروحي، من أجل توحيد إجراء النظام النقدي لدولته إذ لم تكن تحمل صورة، لأن الشريعة الإسلامية تمنع كل تمثيل مجسم للأشخاص في واحد من الوجهين مما ساعده بتسيير معاملاته التجارية على نفس السياق.

المـــــــــلاحق

الملحق رقم (01): صورة للأمير عبد القادر

المصدر: ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 362.

الملحق رقم (02): الاجازة القادرية

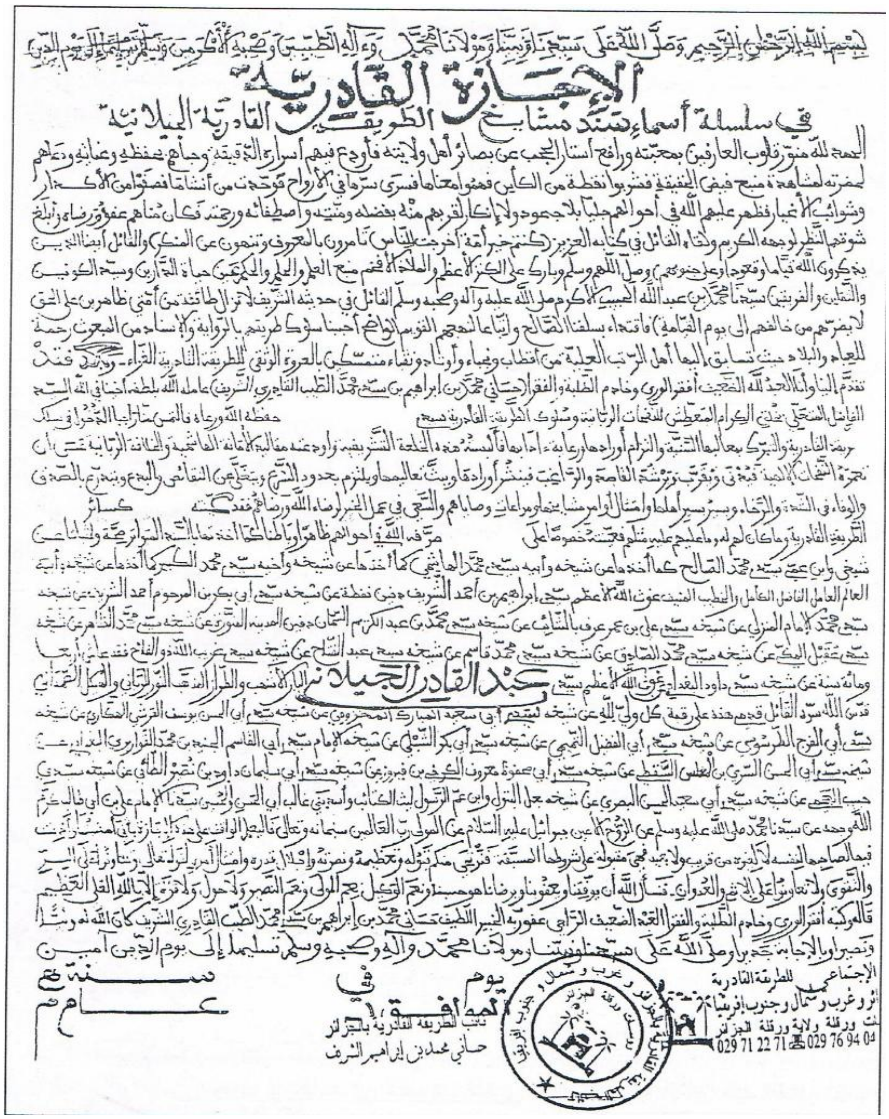

الإجازة القادرية

في سلسلة أسماء سند مشايخ الطريقة القادرية الجيلانية

عبد القادر الجيلاني

المصدر: عميراوي أحميدة، **رسالة الطريقة القادرية في الجزائر**، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 87.

الملحق رقم (03): الزاوية التي درس فيها الأمير من الداخل

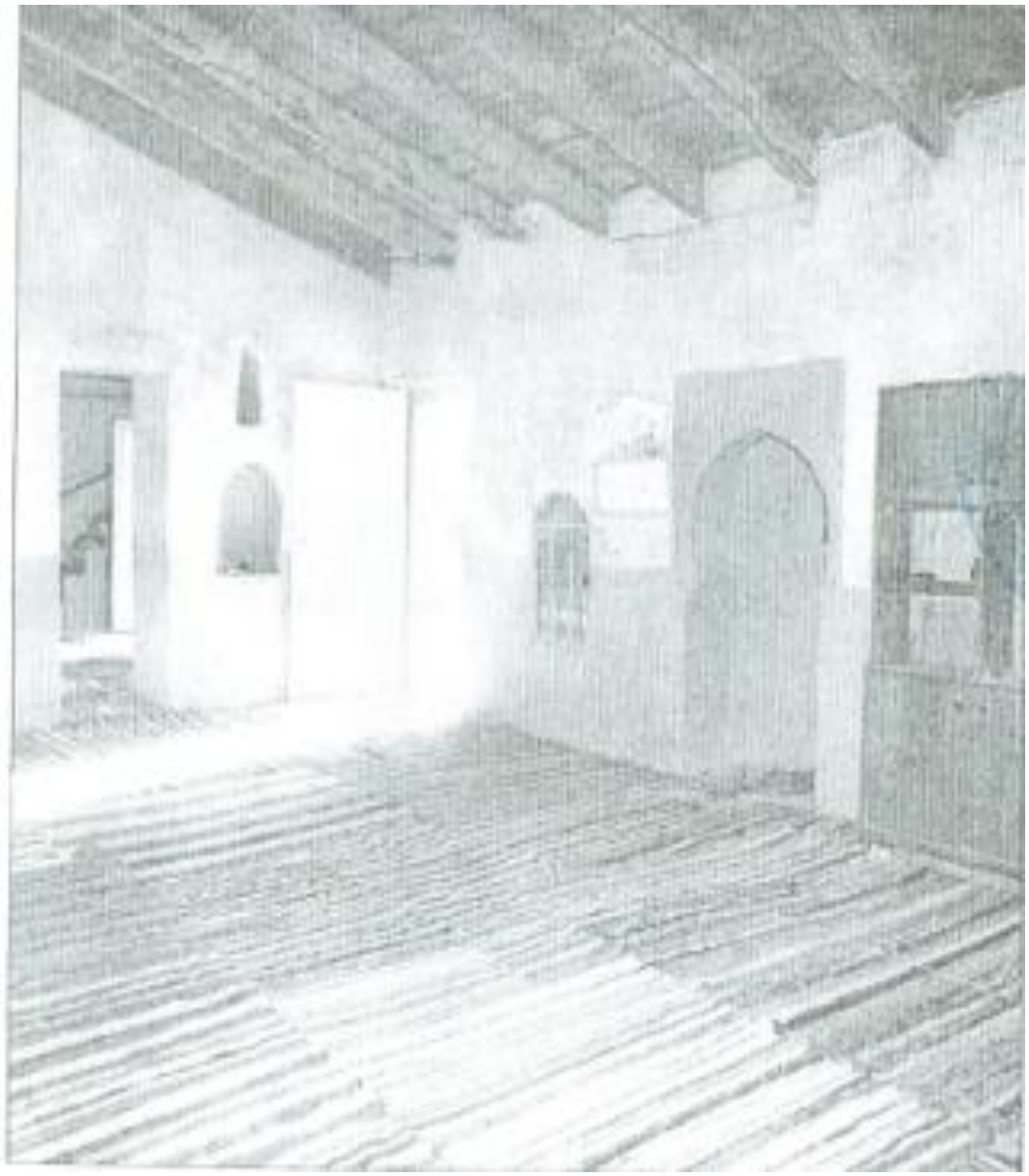

المصدر: بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره، المرجع السابق، ص 274.

الملحق رقم (04): شجرة الدردارة التي بويع الأمير تحت أغصانها

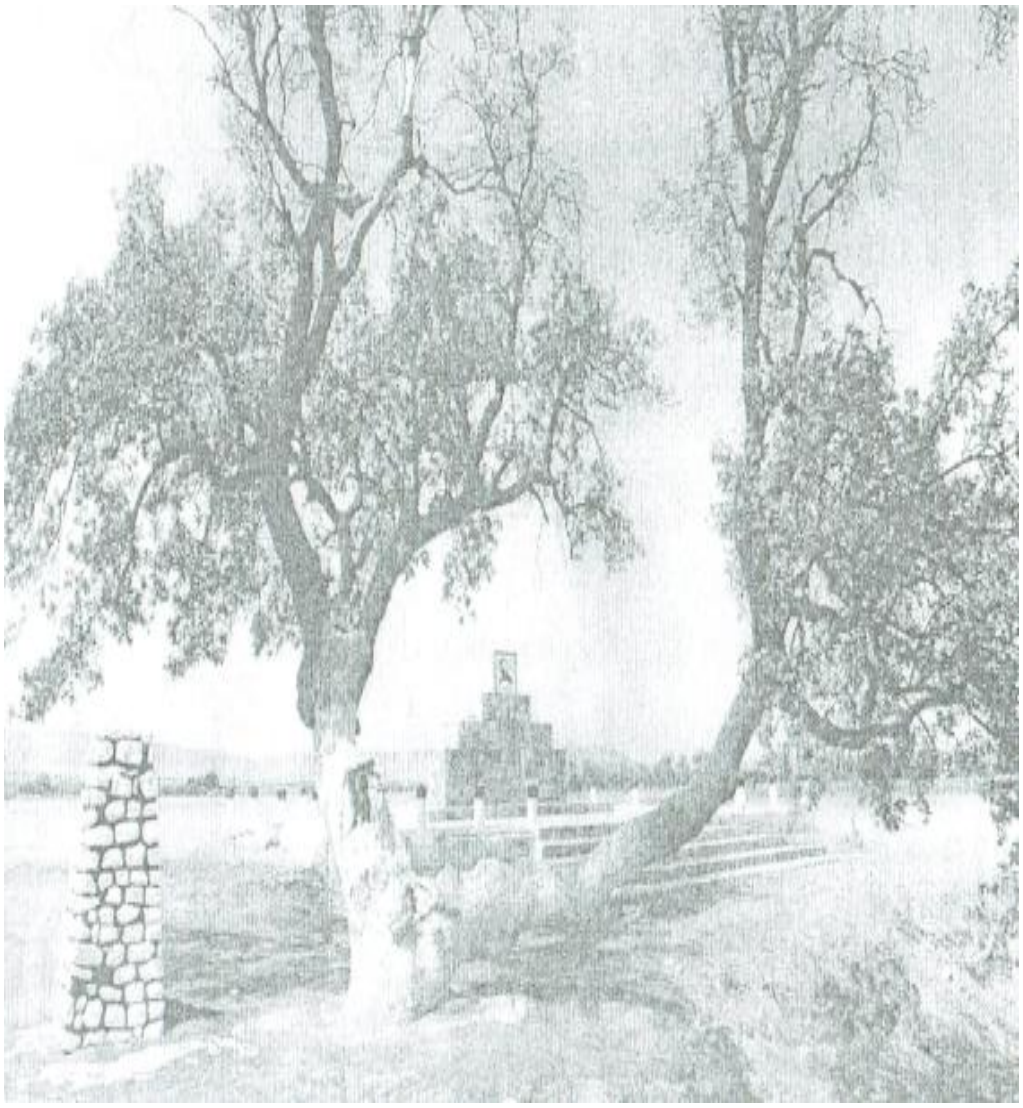

المصدر: بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص 277.

الملحق رقم (05): الحجر التذكاري الذي وضع عند مدخل مسجد المبايعة

ومسجد المبايعة من الداخل

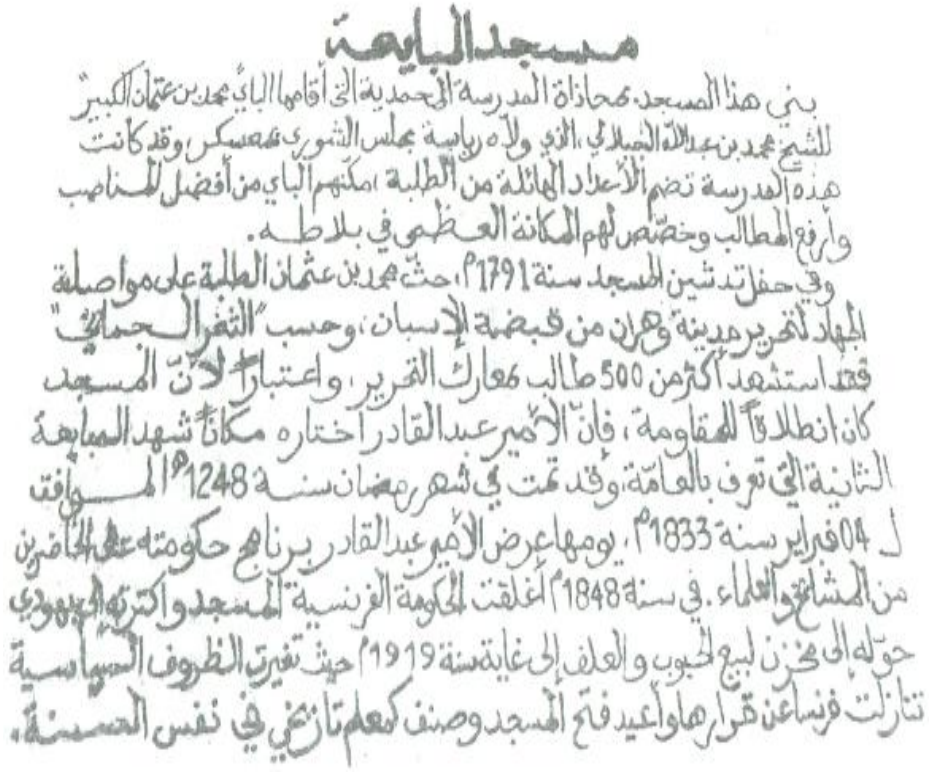
مسجد البايعة

بني هذا المسجد بمحاذاة المدرسة الحمدية التي أقامها الباي محمد بن عثمان الكبير للشيخ محمد بن عبد الله الحبلاني الذي ولاه رياسة مجلس الشورى بمعسكر، وقد كانت هذه المدرسة تضم الأعداد الهائلة من الطلبة، مكنهم الباي من أفضل المناصب وأرفع المطالب وخصص لهم المكانة العظمى في بلاطه.

وفي حفل تدشين المسجد سنة 1791م، حث محمد بن عثمان الطلبة على مواصلة الجهاد لتحرير مدينة وهران من قبضة الإسبان، وحسب "الثغر الجماني" فقد استشهد أكثر من 500 طالب معارك التحرير، واعتبارا لأن المسجد كان انطلاقا للمقاومة، فإن الأمير عبد القادر اختاره مكانا لشهد المبايعة الثانية التي تعرف بالعامة، وقد تمت في شهر رمضان سنة 1248هـ الموافق لـ 04 فبراير سنة 1833م، يومها عرض الأمير عبد القادر برنامج حكومته على الحاضرين من المشائخ والعلماء. في سنة 1848م أغلقت الحكومة الفرنسية المسجد واكترته اليهودي حوله إلى مخزن لبيع الحبوب والعلف إلى غاية سنة 1919م حيث تغيرت الظروف السياسية تنازلت فرنسا عن قرارها وأعيد فتح المسجد وصنف كمعلم تاريخي في نفس السنة.

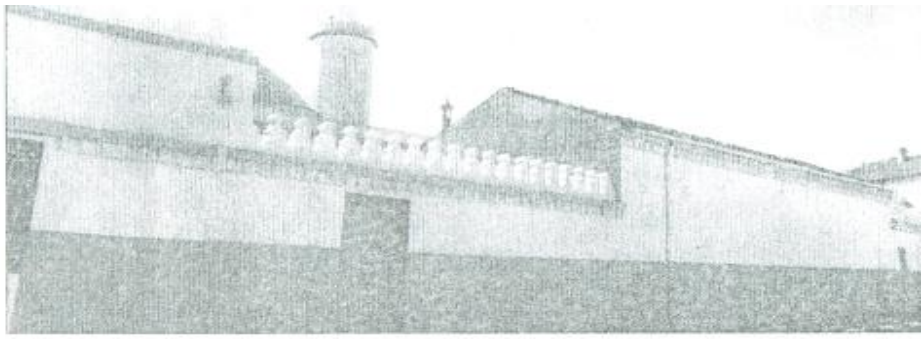

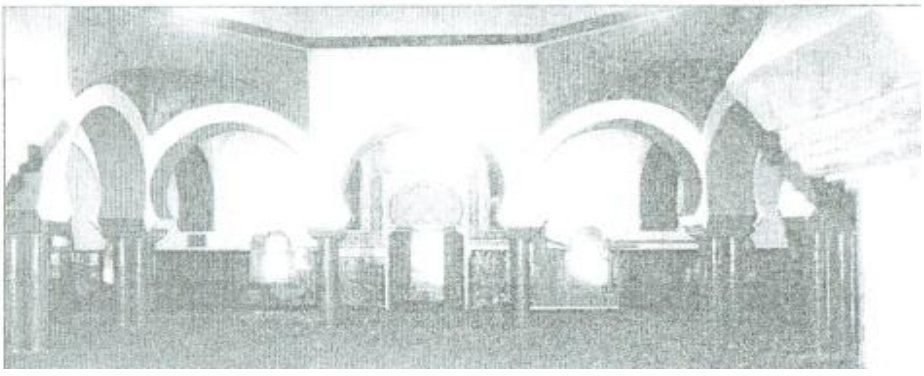

المصدر: بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص 280-281.

الملحق رقم (06): حجر تذكاري يخلد مبايعة أهل معسكر

وغريس للأمير عبد القادر

خطاب المبايعة

الحمد لله

المصدر: بديعة الحسني الجزائري، المرجع السابق، ص 279.

الملحق رقم (07): راية الجهاد

المصدر: خالد بن تونسي وآخرون، الأمير عبد القادر ملحمة الحكمة، منشورات زكي بوزيد، الجزائر، 2007، ص 17.

الملحق رقم (08): لباس الجند

المصدر: خالد بن تونسي وآخرون، المرجع السابق، ص 49.

الملحق رقم (09): العملة النصفية والمحمدية

المصدر: صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص 487.

الملحق رقم (10): عملة أميرية مجهولة الاسم

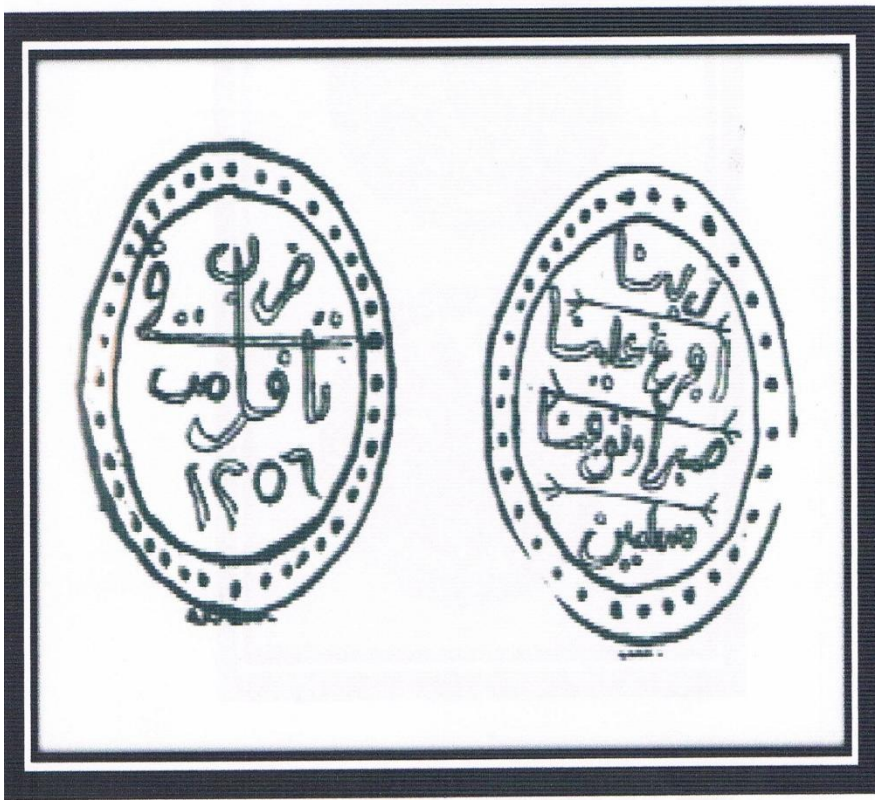

المصدر: صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص 487.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1- برونو أيتين ، **عبد القادر الجزائري** ، تر: ميشيل خوري، دار عقلية، بيروت، 1997.

2- تشرشل هنري، **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو قاسم سعدالله، ط، 02 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

3- التهامي مصطفى، **سيرة الأمير عبد القادر وجهاده**، تح: يحي بوعزيز، دار العرب الإسلامي، بيروت

4-الجزائري الأمير عبد القادر، **مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري**، تح: محمد الصغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح الجون، ط7، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،2010، الجزائر.

4-الجزائري الأمير عبد القادر، **المواقف الروحية والفيوضات السبوحية**، اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الذرقاوي، ج1، دار الكتاب العلمية"، بيروت، 2003.

5-الجزائري محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القاد**، تع: ممدوح حقي، ط 02، دار اليقضة العربية، دمشق،1964.

6-الكلونيل إسكوت، **مذكرات الكلونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841**، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

المراجع:

1-أباضة نزار، **الامير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد**، دار الفكر، دمشق، 1994.

2-سلاماني عبد القادر، **الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الحديثة(1832-1847)**، دار القصبة، الجزائر، 2013.

3-إدريس خضير، **البحث في تاريخ الجزائر الحديث (1830-1962م)**، ج1، دار العرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د س.

4-بركات محمد مراد، **الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي**، دار النشر الالكتروني، د ب، د س.

5-بلاسي نبيل أحمد، **الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**، الهيئة المصرية للكتاب، الزقازيق، 1990.

6-بليمار أليكس، **الأمير عبد القادر حياته السياسة والعسكرية**، تر، بشير علية، دار ألف للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

7-بن أشنهو.ع، **الدولة الجزائرية في 1830 (مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر)**، تر: لعراجي نور الدين، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013.

8-بن السبع عبد الرزاق، **الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، د ب، د ت.

9-بن تونسي خالد وآخرون، الأمير عبد القادر ملحمة الحكمة، منشورات زكي بوزيد، الجزائر، 2007.

10- بن قرية صالح يوسف، **من قضايا التاريخ والأثار في الحضارة العربية الاسلامية**، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، عين مليلة، 2012.

11- بوزيان أحمد، **تيارت من آل رستم إلى الأمير عبد القادر**، دار المدار الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د س.

12- بوطالب عبد القادر، **الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية**. من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، مقدمة بقلم شارل روبير أجيرون، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.

13- بوعزيز يحي، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج 02، دار العرب الإسلامي، بيروت،1955.

14- بوعزيز يحي، **المساجد العتيقة في الغرب الجزائري**، منشورات ENEP، الجزائر، 2011، ص 216.

15- الجزار أحمد كمال، **المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر**، راجعه محمد زكي ابراهيم، منتدى سور الأزبكية، القاهرة، 1997.

16- الجزائري بديعة الحسني، **الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكرة وما بدلو تبديلا**، ج1، ط2، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

17- الجزائري بديعة الحسني، **فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق**، ط 2، دار الفكر للطباعة، دمشق، 2000.

18- الجيلاني عبد الرحمان بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، ج4، دار الأمة، الجزائر، 2009.

19- دردار فتحي، الأمير عبد القادر، **بطل المقاومة الجزائرية (1832-1847)**، د ب، 2001.

20- الزبيري محمد العربي،**الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والمؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1982.

21- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1998.

22- سعد الله أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

23- سعيدوني ناصر الدين، **عصر الأمير عبد القادر الجزائري**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود الباطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000.الصلابي محمد علي، **سيرة الأمير عبد القادر (قائد رباني ومجاهد اسلامي)**، دار المعرفة، بيروت، د س.

24- ضيف جيلاني، **الأمير عبد القادر الجزائري بين الدولة والأمة**، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

25- عبد الله ركيبي، **الشعر الديني الجزائري الحديث**، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

26- العربي إسماعيل، **الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة وقائد الجيش**، وزارة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

27- العسلي بسام، **الأمير عبد القادر الجزائري**، دار النفائس، بيروت، 1980، ص 21.

28- عميراوي أحميدة، رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2003.

29- قاسي فريد، **الدولة في فكر الأمير عبد القادر(1832-1874)**، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 1012.

30- قداش محفوظ، **جزائر الجزائريين**، تر: المعراجي محمد، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2008.

31- قنان جمال، **دراسات في المقاومة والاستعمار**، طبع بالمؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1998.

32- المحجوبي علي، **العالم العربي الحديث والمعاصر (تخلف فاستعمار فمقاومة)**، دار محمد علي للنشر، بيروت 2009.

33- محمصاجي قدور، **شباب الأمير عبد القادر، أصله، طفولته، تربيته، تكوينه، زواجه، معاركه العسكرية الأولى، توليه الامارة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1975.

34- المرابط جواد، **التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري**، الطباعة الشعبية للجيش الجزائري، 2007.

35- مزهودي الصادق، **تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري إلى حرب التحرير الوطني**، ط2، دار بهاء الدين الجزائر، 2012.

36- الملاح بشير، **تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989)**، ج1، دار المعرفة، د.ب، 2006.

37- مؤيد العقبي صلاح، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر (تاريخها ونشاطها)**، دار البراق بيروت، 2002.

38- مياسي ابراهيم، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

39- نويصر مصطفى، **الأمير عبد القادر في ذكراه المئوية(1883-1983)**، طبع بالمؤسسة الوطنية، دب، 1984.

40- الوزير محمد السيد علي، **الأمير عبد القادر الجزائري وآثاره في أدبه**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

41- الوصفي علي بن السيد أحمد، **موازين الصوفية**، تق: سعد عدد عبد الرحمان، دار الايمان، الاسكندرية، مصر، 2001.

المذكرات:

1- بقبق الزهرة، **الأمير عبد القادر في الأسر (1849-1852)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاص، إشراف الصم منور، معهد التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2010.

2- بن حامد عبد القادر، **مكتبات المساجد في حواضر شمال الغرب الجزائري وأثرها الثقافي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية، إشراف عبد الحميد حاجيات، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2008-2009.

3- بن ساعد عائشة، **البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، ، جامعة الجزائر، 2003-2004.

4- زاير عبد القادر، **دور خلفاء الأمير في بناء الدولة الجزائرية (1832-1847)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف محمد الطيبي، قسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الانسانية والحضارية الاسلامية، جامعة وهران، 2009-2010.

5- علاق محمد، **الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف تلمساني بن يوسف،، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2011-2012.

المجلات:

1-بركات أنيسة، «الجانب الأدبي من شخصية الأمير عبد القادر»، **مجلة التاريخ**، عدد خاص بوفاة الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانة، 1983.

2-بوعزيز يحي، «موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر»، **مجلة الأصالة**، ع 23، مطبعة البعث، الجزائر، 1975.

3- بونار رابح، «نظام الحكم في إمارة الأمير»، **مجلة الأصالة**، مج: 8، ع 23، طبع بالمؤسسة الوطنية، الجزائر 2012 .

4- سعد الله أبو القاسم ، «بين الشاذلي القسنطيني والأمير عبد القادر»، **مجلة الأصالة**، ع 12.

5- سعيدوني ناصر الدين، " النظام الضرائبي لدولة الأمير عبد القادر"، **مجلة الثقافة** ، ع 75، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانة، الجزائر1983.

6- سعيدوني ناصر الدين، «موقف الأمير عبد القادر من بقايا السلطة التركية بالجزائر- جماعة الكراغلة وعشائر المخزن»، **مجلة التاريخ**، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، دار الغرب الاسلامي، 1983.

7- صدار نور الدين، «البطولة، الانسان، والتصوف تنويعات الرؤية والتشكيل في شعر الأمير عبد القادر، مقاربة بنيوية تكوينه»، **مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية**، مج 37، ع 2، 2010.

8- العربي اسماعيل، «حكومة الأمير عبد القادر، إدارتها ومهامها»، **مجلة الثقافة**، ع75، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مطبعة أحمد زبانة، الجزائر 1983.

9- عيسى علي، " لأخلاقيات القتالية عند الأمير عبد القادر"، **مجلة الأصالة**، مج 08، ع 23، طبع بالمؤسسة الوطنية، الجزائر، 2012.

10- مطاطلة أحمد، «نظام الادارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر»، **مجلة الذاكرة**، ع 04، الجزائر، 1996.

11- المهدي ابو عبدلي، "وثائق اصلية للأمير عبد القادر»، **مجلة الثقافة**، ع (خاص) 75، 1983

الملتقيات:

1-أوصديق فوزي، «دستور دولة الأمير عبد القادر»، **أشغال الملتقى الثقافي الوطني**، صدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 1996.

2- حسني بلال، «القضاء الاسلامي في دولة السلطان الأمير عبد القادر»، **ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر منبع الأصالة رائد الحداثة**، يصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011.

3- عزوزي علي، «الأمير عبد القادر والأسرى»، **ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية**، صدر عن مؤسسة الامير عبد القادر، الجزائر، 2011.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

1- Alexandre Bellemare, **Abdelkader sa vie politique et militaire**, hachette, paris, 1854.

2- AZAN (P.), **Abdelkader 1808-1883 du Fanatisme musulman au patriotisme Français**, hachette, Paris, 1925.

3- h lavoix, **catalogue des monnaies musulmanes, de la bibliothèques nationale de paris**, Vol 12, (Espagne et L'Afrique), paris, 1891.

فـــــهرس

المـــــوضوعات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	
مدخل: شخصية الأمير وتكوينه الديني	
1-مولده	09
نسبه	10
نشأته	11
مرجعيته الدينية	13
الفصل الأول: الجوانب الروحية للأمير عبد القادرفي المجال السياسي	
المبحث الأول: البيعـــــة	20
المطلب الأول: مقدمات البيعــة	20
المطلب الثاني: البيعة الخاصة	22
المطلب الثالث: البيعة العامة	25
شرعية البيعة الخاصة	27
شرعية البيعة الخاصة	27
المبحث الثاني: الشورى	28
المطلب الأول: المجلس الشوري الأعلى الأميري	28
المطلب الثاني: اختصاصات المجلس الشورى الأعلى الأميري	30
المطلب الثالث: نماذج من الشورى في عهد الأمير عبد القادر	31
الفصل الثاني: الجوانب الروحية للأمير عبد القادر في المجال العسكري	
المبحث الأول: الجهاد وضرورته	35
المطلب الأول: الدعوة إلى الجهاد	35

المطلب الثاني: شروط الجهاد عند الأمير	37
المطلب الثالث: إدارة المعارك	38
المبحث الثاني: معاملاته	42
المطلب الأول: تعامله مع الجنود	42
المطلب الثاني: تعامله مع الأسرى	45
معاملة المرأة الأسيرة	48
تبادل الأسرى	51
قضية أسرى سيدي براهيم	53
الفصل الثالث: الجوانب الروحية للأمير عبد القادر في المجال الإجتماعي	
المبحث الأول: البعد الروحي للأمير في المؤسسات الثقافية	57
المطلب الأول: المساجد	57
المطلب الثاني: الزوايا	61
المبحث الثاني: البعد الروحي للأمير في الجانب التعليمي	65
المطلب الأول: بناء المدارس	65
المطلب الثاني: تشجيع العلم ومعاملة الطلاب	66
المطلب الثالث: جمع الكتب والحفاظ عليها	68
المبحث الثالث: البعد الروحي في مؤسسة القضاء عند الأمير عبد القادر	70
المطلب الأول: مكانة القضاء عند الأمير وشروط وصفه	70
المطلب الثاني: أنواع القضاء	74
المطلب الثالث: القضاة	76
الفصل الرابع: البعد الروحي للأمير في المجال الإقتصادي	
المبحث الأول: النظام المالي والنقدي لدولة الامير	80
المطلب الأول: الضرائب	80
المطلب الثاني: العملة	82

1/ المحمدية	84
2/ النصفية	85
3/ نقود فضية مجهولة الاسم	87
المبحث الثاني: المعاملات التجارية	89
الخاتمة	92
الملاحق	95
قائمة المصادر والمراجع	106
فهرس المحتويات	114